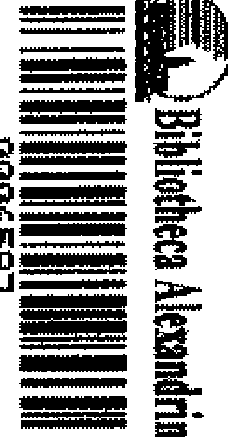
تاريخ المصريين ٦١

تاريخ الإسكندرية
في العصر الحديث

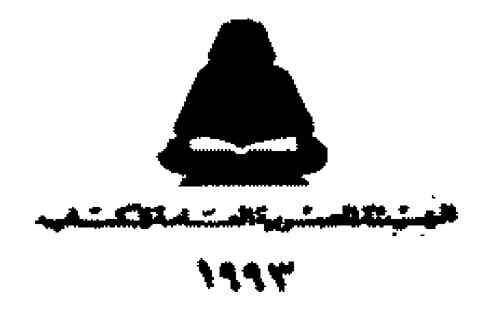
بقلم
د. عبد العظيم رمضان





تاريخ الإسكندرية
في العصر الحديث

بقلم
د. عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

تقديم

تعد هذه الدراسة التى أقدمها عن مدينة الاسكندرية دراسة فريدة فى سلسلة الدراسات التى قدمتها فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر . فقد درجت فى الدراسات السابقة على تناول موضوعات مجهولة فى تاريخ مصر ، أو موضوعات لم تدرس بعد دراسة علمية أكاديمية ، لأكشف غوامضها وألقى الضوء على جوانبها، وهو ما يتفق مع المعنى الحقيقى لكلمة دراسة تاريخية ، ولكننى فى هذه الدراسة عن مدينة الاسكندرية أقوم بمهمة أخرى هى اعادة اكتشاف قديم سبق اليه غيرى من الباحثين بدراسات موسعة ، لأقدمه الى القارىء فى دراسة مركزة تبرز أهم خطوط الفترة التى تناولتها ، وهى العصر الحديث ، وبتركيز أكثر على الفترة من الحملة الفرنسية الى الثمانينيات من هذا القرن .

وأظن أن مثل هذه الدراسات المركزة لا تقل أهمية عن الدراسات الموسعة لمن لا يتطلب تخصصه التعمق والتوسع فى دراسة حقبة معينة ، كما أن مكتبتنا العربية

مفتقرة اليها ، فقد درجت العادة فى مثل هذه الدراسات المركزة أن تكون دراسات مسحية سطحية تفتقر الى المنهج العلمى، بالاضافة الى أنها دراسات متعجلة غالبا • ولكن لم تجر العادة على تقديم دراسات علمية مركزة تتحرى المقاييس العلمية للدراسات التاريخية ، لأن مثل هذه الدراسات تتطلب — فى العادة — نفس الوقت الذى يقضى فى الدراسات الموسعة ، دون أن ينعكس طول هذا الوقت على طول الدراسة وتقديم كل ما حصل عليه الباحث من مادة البحث !

وهذا هو ما حدث فى هذه الدراسة المركزة التى بين يدى القارىء ، فان الوقت الذى بذل فى دراستها كان يكفى لتقديم عمل علمى أكبر حجما ، فالبحث العلمى هو البحث العلمى ولا يوجد وسط ، والمصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموسع هى نفس المصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموجز ، والا حفلت الدراسة بالأخطاء العلمية والوقائع التاريخية المحرفة والآراء المتعجلة ، وهو ما يسلب من الدراسة صبغتها العلمية •

ولقد عالجت فى هذه الدراسة تاريخ مدينة الاسكندرية منذ أن نزلتها الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بونابرت فى ليلة ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ حتى العصر الحاضر • وكان من الضرورى التعرف على حالتها

الاجتماعية والاقتصادية والحضارية قبل نزول الحملة في المراجع السياسية التي تعرضت لها ، وكان على رأس هذه المراجع كتابات علماء الحملة الفرنسية عما شاهدوه وسطروه في كتاب « وصف مصر » • وقد وجدت فيما كتبه جراتيان لوبير عن مدينة الاسكندرية ، مادة كافية ، ومن حسن الحظ أن هذه المادة قام بترجمتها الى العربية ترجمة جيدة المرحوم زهير الشايب في الجزء الثالث من ترجمته لكتاب « وصف مصر » •

أما المحاولات الأوروبية التي جرت قبل الحملة الفرنسية لاحياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية ، وما كتبه الرحالة الفرنسيون عن أهميتها الاستراتيجية ، فقد وجدت مادة كافية عنها في كتاب الأستاذ الدكتور محمد فؤاد شكرى عن : « الحملة الفرنسية وظهور محمد على » ، وأيضا في الكتاب الذى قمت بترجمته لجون مارلو عن «تاريخ النهب الاستعمارى لمصر » وصدر عن هيئة الكتاب •

وعن أوضاع الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية ، استفدت مما كتبه « كرستوفر هيرولد » في كتابه « بونابرت في مصر » ، الذى أصدرته دار الكتاب العربي للطباعة والنشر مترجما • كما استفدت مما كتبه المرحوم عبد الرحمن الرافعي في كتابه « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر » ، الذى

صدر فى جزءين ، وعالج فيه الحركة القومية فى مصر من الحملة الفرنسية حتى ارتقاء محمد على أريكة مصر ، وهو من أحسن الكتب التى ألفها المرحوم الرافعى •

وأما عن العلاقة بين كل من انجلترا والدولة العثمانية من جهة وفرنسا من جهة أخرى ، ونتائجها على مصير الحملة الفرنسية ، فقد استفدت من العمل الموسوعي الذى قدمه الدكتور محمد فؤاد شكرى عن : « مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ، من ١٨٠١ الى ١٨١١ ، وطبعته كلية الآداب بجامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨ ، وهو أحسن ما قدم عن هذه الفترة • ويكمل هذا العمل الجليل كتاب الدكتور شكرى الآخر عن « عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر » ، الذى أصدرته جماعة الأزهر للنشر والتأليف » فى عام ١٩٥٢ • وأهمية هذه الكتب أن المؤلف رجع فيها الى عدد هائل من المراجع والمصادر والوثائق الأجنبية ، بالاضافة الى المراجع والمصادر المصرية • وتمكن بذلك من مسح تلك الفترة مسحا علميا وتاريخيا مستفيضا •

وبطبيعة الحال فان هذه الكتب قد خدمت أيضا فترة الاحتلال الانجليزى الأول للاسكندرية ، وأحوال الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية ، وحملة فريزر ، وولاية محمد على الحكم ، والعلاقات بين الدولة العثمانية والدول الكبرى ، فضلا عن الصراع الذى دار

بين محمد على والمماليك والانجليز ، حتى استيلاء محمد على على الاسكندرية ، وضمها الى ولاية مصر ودخولها في نطاق باشوية القاهرة .

وقد استفدت فى الكتابة عن الاسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه بكتب الرافعى عن : « عصر محمد على » ، و « عصر اسماعيل » وهو فى جزءين ، بالاضافة الى العمل العلمى الهام : «بناء دولة ، عصر محمد على» ، الذى ألفه كل من الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، وصدر فى عام ١٩٤٨ ، ويشمل الوثائق والتقارير الأجنبية بالاضافة الى الوثائق التاريخية المصرية .

أما عن الاحتلال البريطاني للاسكندرية ، فقد استفدت فيه بكتاب الرافعى عن : « الثورة العرابية » ، الذى صدر فى عام ١٩٣٧ ، بالاضافة الى العمل الموثق الذى قدمه الأمير عمر طوسون عن : « يوم ١١ يولية ١٨٨٢ » الذى صدر عام ١٩٣٤ ، خصوصا فيما قدمه عن حصون الاسكندرية والسفن الانجليزية التى ضربتها فى ذلك اليوم .

وقد استفدت من كتاب : « مجتمع الاسكندرية عبر العصور » الذى قدمته كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى عام ١٩٧٥ ، ويشتمل على المحاضرات التى ألقيت فى ندوة علمية بكلية الآداب فى أبريل ١٩٧٣ بالتعاون

مع الجمعية التاريخية المصرية وذلك في معالجة تاريخ الاسكندرية الاجتماعي في فترة الاحتلال البريطاني وفي عهد الاستقلال الوطني • وقد استفدت خاصة من دراسة الدكتور عمر عبد العزيز عن « مجتمع الاسكندرية في العصر العثماني » ، ودراسة الدكتور حسن محمد صبحي عن « المؤثرات الأوروبية في مجتمع الاسكندرية في العصر الحديث » ، ودراسة الدكتور محمد محمود السروجي عن «مجتمع الاسكندرية والحركة الوطنية ، ودراسة الدكتور محمد زكي العشماوي عن « الحركة الأدبية في الاسكندرية » ، ودراسة الأستاذ شارل شميل عن: «صحافة الاسكندرية » • هذا فضلا عن كتاب هيئة الاستعلامات عن مدينة الاسكندرية الذى صدر عام ١٩٨٧ •

ولعل هذا العرض يوضح للقارىء أن العمل الذى بذل في هذا الكتاب يساوى العمل الذى يبذل عادة في كتاب يفوقه حجما ومادة ، ولكنه يتيح للقارىء الاحاطة بتاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الحديث في أقل عدد من الصفحات •

فهو يتابع حالة الاسكندرية قبل الحملة الفرنسية، والمحاولات التي مهدت لها لاعادة احياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية ، ووصول الأسطول الانجليزى بقيادة نلسون اليها قبل وصول الأسطول الفرنسى ،

والصراعات السياسية والعسكرية الدولية والمحلية التى دارت فى الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية حتى خروجها من مصر • كما يتناول الاسكندرية فى فترة الاحتلال الانجليزى الأول، وفى عهد الفوضى المملوكية، وحملة فريزر ، وولاية محمد على الحكم • كما يتابع محاولات محمد على لاحياء الاسكندرية واعادتها الى مكانتها التى فقدتها على مدى قرون • وأوضاع الاسكندرية أثناء الثورة العرابية ، واحراقها على يد سليمان داود عند انسحاب القوات العرابية • ثم حالة الاسكندرية فى أثناء الاحتلال البريطانى وزيادة الطابع الأوربى لها ، ونشاط الأوروبيين فيها ، وينتهى بما صارت اليه مدينة الاسكندرية فى عهد الاستقلال الوطنى ، وتفوقها على مركزها الأول •

ولعلى بذلك أكون قد ألقيت شعاعا من الضوء على تاريخ هذه المدينة العظيمة •

مصر الجديدة فى ١٠ فبراير ١٩٩٣

د • عبد العظيم رمضان

الحالة الحضارية للاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية :

يخطيء من يظن أن الأهمية الاستراتيجية لمدينة الاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية كانت هي نفس الأهمية التي كانت لها في عهد البطالمة ، عندما كانت عروس المدائن ، ومركز تجارة العالم — يسكنها نحو ستمائة ألف نسمة ، أو في عهد الرومان ، حين كانت المدينة الثانية في العالم — وانما تعرضت هذه الأهمية للتدهور ابتداء من فتح العرب لمصر ، عندما انتقل محور علاقاتها الخارجية من أوروبا (اليونان — روما — القسطنطينية) الى آسيا (شبه جزيرة العرب — دمشق — بغداد) وانتقلت العاصمة الى الداخل (الفسطاط — القطائع — القاهرة) ومع ذلك ظلت مزدهرة حتى نحو نهاية القرن الرابع عشر ، حسبما يذكر أبو الفداء الذي قام بزيارة لها في سنة ١٣٨٣ م .

ومع بداية العصر الحديث أخذت الاسكندرية تفقد أهميتها بشكل ثابت تحت عاملين : الأول ، اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند في عام ١٤٩٧ ، وتحول الشطر الأكبر من التجارة بين

اوروبا والهند الى طريق المحيط الأطلنطى ، مما أفقد الاسكندرية أهميتها كطريق بين الغرب والشرق ، ومستودع للمتاجر ، الأمر الذى أدى الى اضمحلالها تدريجيا • ثانيا ــ الفتح العثماني لمصر ، وانتهاج العثمانيين سياسة عزل مصر عن العالم الخارجي خوفا من خطر الاستعمار الغربى ــ وعزوفهم عن احياء تجارة الشرق حتى لا يأتي الاستعمار فى أعقاب التجارة • وقد ذهبوا فى ذلك الى حد فرض تقليد جديد يقضى بمنع المراكب الأوروبية من الدخول فى البحر الأحمر ، بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين فى الحجاز ، وهو التقليد الذى ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر •

وقد جرت بعض المحاولات لاحياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية عندما كان الحكم فى مصر يقع فى يد بعض المماليك الأقوياء الذين كانوا يستأثرون بحكم مصر • فحوول عقد معاهدة بين هيستنجز Hastings حاكم البنغال وعلى بك الكبير ، تؤمن التجارة الانجليزية من الاعتداء عليها أثناء نقلها من السويس الى الاسكندرية ــ ولكن الحوادث فى مصر أطاحت بعلى بك الكبير • وقد نجح الانجليز فى عقد المعاهدة مع خلفه محمد أبو الذهب فى ١٧ مارس ١٧٧٥ • ولكن الدولة العثمانية اعترضت على هذه المعاهدة على أساس أن الاحترام الواجب للحرمين الشريفين لا يجيز للسفن

الانجليزية الملاحة فى البحر الأحمر شمالى جدة ، وخوفا من أن يؤدى احياء الطريق البرى الى زيادة ثروة المماليك وتشجيع اتجاهاتهم الانفصالية عن الدولة العثمانية • وقد تلى ذلك نجاح تروجويه Truguet مندوب سفير فرنسا فى الآستانة ، فى عقد معاهدة مع مراد بك فى يناير ١٧٨٥ ، فى اطار اهتمام فرنسا بمصر كحلقة من حلقات الصراع بينها وبين بريطانيا حول الهند • لكن ذلك كله لم يسفر عن اعادة الفاعلية للطريق البرى بين السويس والاسكندرية •

وقد ترتب على ذلك أنه عند مجىء الحملة الفرنسية الى مصر كانت الاسكندرية قد تحولت الى مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ، عمرانها متهدم ، وبيوتها أشبه ببيوت القرى ، وشوارعها ضيقة كثيرة التعاريج ، ومعظم سكانها فقراء ـ ولم يبق من الاسكندرية القديمة سوى الاسم والأطلال الدارسة •

على أن أهميتها الاستراتيجية باعتبارها مدخلا الى مصر أخذت تتزايد ـ مع ذلك ـ مع تزايد اقتناع فرنسا بضرورة احتلال مصر ، احياء لفكرة فتح ميادين جديدة للاستعمار فى الشرق تعويضا عن مستعمراتها فى الهند الغربية من جهة ، ومن جهة أخرى للتدخل فى الهند وطرد الانجليز منها والتمكن بفضل ذلك من القضاء على تجارتهم فى الشرق •

وقد كان الذى أبرز الأهمية الاستراتيجية للاسكندرية الرحالة الفرنسيون • فقد زار البارون دى توت Tott مصر في أوائل يونية ١٧٧٧ موفدا من وزير البحرية الفرنسية ، لتقديم تقارير عن شواطىء الليفانت ، وكتب مذكرة تحت عنوان : « ملاحظات على الشواطىء المصرية » وصف فيها سوء حالة التحصينات في الشاطىء المصرى الشمالى ، على مدخل الاسكندرية في ميناءيها الجديد والقديم ، ثم في أبى قير التى قال عنها « انها ذات فرصة واسعة لرسو المراكب بأمان » ، اذ لا تحميها سوى قلعة واحدة فقط ، ويعوز الجند الذخيرة ، وفي حال أسوأ من الاسكندرية ، وفي عام ١٧٨٧ زار فولنى مصر ، ووصف الاسكندرية من الوجهة الحربية ، فقال : انها لا قيمة لها اذا لا توجد بها أية تحصينات ولا يوجد بها قلعة ذات شأن أو خطر ، أما قلعة المنارة (طابية قايتباى) بأبراجها العالية ، فانها لا تصلح للدفاع عنها ، اذ ليس بها سوى أربعة مدافع صالحة للضرب ، وحاميتها المؤلفة من خمسمائة من الانكشارية نقص عددهم ا النصف تقريبا ، وصاروا لا يدرون من فنون الحرب شيئا ، ويمضون وقتهم في التدخين ، وان فرقاطة واحدة تكفى لهدم المدينة ، وعندما قرر بونابرت الحملة على مصر أراد أن يصحب معه فولنى ، ولكنه اعتذر بكبر سنه ، فاكتفى بونابرت بأن يحمل معه كتاب « رحلة فولنى Volney » الى مصر •

كانت الاسكندرية التى نزلت اليها الحملة الفرنسية قد تحولت الى بلدة صغيرة تقع شمالى المدينة القديمة ، وتنحصر فى شبه الجزيرة التى بين الميناء الشرقي والميناء الغربي • ومن المعروف أن الاسكندرية ، بنيت في مكان قرية على شاطىء البحر المتوسط تجاه جزيرة فاروس ، ثم تم توصيل القارة بالجزيرة عن طريق جسر ضيق اتسع تدريجيا عن طريق الردم ، فتكون من هذا الاتصال ميناءان هما : الميناء الشرقى ، والميناء الغربى • أما الميناء الشرقى ويعرف باسم الميناء الكبير Magnus Portus فى عهد البطالمة ، وكان يعرف باسم « مرسى السلسلة » وفقا لليون Jean Lèon d'Afrique فكان يتكون من خليج صغير شبه دائرى تبلغ فتحته من الشمال ١٧٨٩ مترا ، ومحصور بين سلسلة من الشعب الصخرية التى تقلل من اتساع الممر القابل لمرور السفن الى حوالى ٥٠٠ متر ، وتجعله ، نظرا لانفتاحه كلية أمام رياح الشمال والشمال الشرقى عاجزا عن استقبال كل السفن فيما عدا بعض القرقاطات والسفن الحربية الصغيرة • وكانت السفن الأوروبية لا ترسو الا به ، اذ كان محظورا عليها الرسو فى الميناء الغربى بأمر حكومة المماليك • وعلى شاطىء هذا الميناء كان يوجد الجمرك ودور القناصل •

وفى النهاية القصوى من هذا الميناء من الناحية الشمالية توجد القلعة المعروفة باسم «طابية قايتباى» ، التى بناها السلطان الأشرف قايتباى فى القرن الخامس عشر ، ويسميهاالفرنسيون باسم « قلعة المنارة » Le Phare لأنها أنشئت فى المكان الذى كان به منارة الاسكندرية القديمة المعدودة احدى عجائب الدنيا السبع • وعلى مدخل الميناء الشرقى من الجهة الشرقية المقابلة لقلعة قايتباى يوجد برج السلسلة القائم أثره حتى اليوم ، ويسميه الفرنسيون Phazillon

أما الميناء الغربى ، أو الميناء القديم Port Vieux فهو الواقع بين شبه جزيرة رأس التين والبر وهذا الميناء فسيح وعميق والرسو فيه مأمون ، وتستطيع أكبر السفن التجارية أن ترسو هناك على مسافة قصيرة ، وذلك نظرا لأن مرتفعات شبه جزيرة رأس التين تجعله كلية فى حمى من رياح الشمال الغربى وكذا رياح الشمال والشمال الشرقى • وكان دخوله محرما على السفن الأوروبية • وفى هذا الميناء توجد الترسانة ومخازن البحرية التى كانت على درجة كبيرة من التأخر والاهمال • كما توجد بقايا مصانع قديمة ومبان أخرى من الطوب والأسمنت • ويدافع عن الرأس الواقع جنوب غرب شبه جزيرة رأس التين طابية تتسمى باسم رأس التين • وهناك حصنان

آخران لهما طابع عربى يحميان الميناء من الداخل •
وهذا الجزء من شبه الجزيرة مخصص فقط لمقابر المسلمين ، وبه المدافن الخاصة بالعائلات ، وهى من الرخام الأبيض أو من الحجر الجيرى • وفى النهاية القصوى لشاطىء الميناء الغربى الجنوبى يوجد اللسان المعروف بجهة العجمى ، والمسافة بينه وبين رأس التين فى شمال الميناء ٨٣٠٠ متر على خط مستقيم • واسم « العجمى » يرجع الى اسم مسجد باسم مسجد الشيخ العجمى ، أقيمَ حوله حصن أو قلعة صغيرة على قمة السلاسل الصخرية الى الجنوب الغربى من الخليج •

وتقع مدينة الاسكندرية بين الميناءين ، وقد بنيت فوق صخرة جيرية ضاربة الى البياض ، وتغطيها فى جزء منها كثبان رملية متحركة • وعند مجىء الحملة الفرنسية الى الاسكندرية لم تكن المدينة تضم أى مبنى له أهمية ، وكانت مساجدها الرئيسية التى يبلغ عددها من ٢٥ الى ٣٠ مسجدا ، وكذلك الوكالات والمتاجر العامة والبيوت الخاصة والأرصفة كذلك ، تمتلىء بأعمدة من الحجر الجيرى أو الرخام أو الجرانيت أو الألبستر، وتوجد عليها نقوش قديمة ، وهى مأخوذة من قصور قديمة خربة • ولم يكن من بين كل هذه المنشآت منشأة واحدة تستحق وصفا خاصا ، وكان البناء والتوزيع الداخلى للبيوت بالغ السوء ويستعصى على الفهم ، ولا تشكل واجهات البيوت الا واجهات

ملساء تميل الى البياض ، وتخترقهـا نوافذ صـغيرة تغطيها تقفيصات من الخشب • أما شوارعها الضيقة ، غير المرصوفة ، والتى ليس بها أى مجرى لتصريف مياه المطر ، فكانت تظل متربة أو موحلة حسب الطقس ، وكل شيء يساهم فى اعطاء المدينة مظهرا حزينا وطابعا رتيبا فى نظر كل أوروبى تجذبه الى هذه المنطقة من العالم التجارة أو حب السياحة •

وكانت حدود العمران فى الاسكندرية فى أواخر القرن الثامن عشر تنتهى شمالا فى مقابلة شبه جزيرة رأس التين ، فكانت جميع الجهـات الواقعة بين البحر شمالا وشارع أبى وردة الى جامع أبى العباس بعضها مدافن وبعضها نقع ، ولم يكن بها مساكن سوى بعض بيوت للصيادين المعروفة بالسيالة • وكان حد المدينة من الجهة القبلية الحارة المعروفة الآن بحارة المغـاربة قريبا من ميدان محمد على • ويكفى لمعرفة مدى تقلص المدينـة فى ذلك العصر أن نعرف أن موضـع عمـود السوارى كان يبعد عن المدينـة بنحـو كيلو ونصـف جنوبا •

ويقول جراتيان لوبير Gratien Le Pere فى دراسته عن مدينـة الاسـكندرية التى قام بهـا أثناء الحملة الفرنسية انه لا يمكن تحديد فترة زمنية معينة أنشئت فيها هذه المدينة الحديثة ، فقد بنيت وسـكنت ــ من

جهة ــ مع اتساع ترسيبات الرمال تدريجيا الى الشمال، ومن جهة أخرى عندما كانت الحروب المدنية والدينية، أو تلك التى تشنها الدول الأجنبية ، تنشب لتسبب فى المدينة القديمة دمارا يدعو الى هجرها بشكل جزئى •

توضح الدراسات عن أسوار الاسكندرية التقلص التدريجى للمدينة عبر العصور • فقد كان للمدينة سور بناه البطالمة ، كشف عن موقعه العالم المصرى محمود باشا الفلكى فى رسالة باللغة الفرنسية طبعها سنة ١٨٦٦ ، وكان يضم شوارعها ومسارحها ومتاحفها ومكتبتها الشهيرة وقصورها ومبانيها وضواحيها • ورسالة محمود باشا الفلكى مقرونة بخريطة من أبدع ما رسمه العلماء والمهندسون • ثم بنى سور جديد للاسكندرية فى عهد أحمد بن طولون على الأرجح ، وجدد بناءه السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ثم السلطان الظاهر بيبرس ، ويسميه الأوروبيون سور العرب • وكان طوله الدائرى ٧٨٩٣ مترا ، ويتخلله مائة برج، وبعض هذه الأبراج غاية فى الفخامة والمناعة ولا فرق بينها وبين القلاع الحصينة ، وهو الذى امتنع به الاسكندريون عند هجوم الجيش الفرنسى على المدينة • ويحدد هذا السور حدود عمرانها فى عهد الدول الطولونية والأيوبية والمملوكية ، وهو نصف ما كان يحده سور البطالمة القديم • ومع ذلك فان هذا السور

فى عهد البكوات المماليك، ومع تقلص عمران المدينة ، لم يكن يحيط الا بفضاء عظيم من الخرائب الخالية من المساكن ، يسير فيه الانسان عدة ساعات دون أن يرى من معالم العمران سوى الأطلال الدراسة ، ولم يبق به الا صهاريج المياه وأربعة كفور يسكنها خدام البساتين التى بداخل السور وحراس القلاع والأبراج • وكان معظم هذه الأبراج متخربا، وفى السور ثغرات وفتحات بسبب الاهمال وسوء الادارة • وبه خمسة أبواب : اثنان يطلان على واجهة المدينة فى الشمال ، وواحد فى الشرق ، وهو « باب رشيد » ، والثالث فى الجنوب، وهو باب سدره ، والخامس فى الغرب يؤدى الى الميناء الغربى عن طريق الحصن المثلث • وتركز العمران فى الجزء الشمالى المحصور بين الميناءين •

وفى عهد الحملة الفرنسية كانت الاسكندرية قد انعزلت عن القاهرة وداخلية البلاد ، بسبب جفاف ترعة الاسكندرية وتوقف الملاحة فيها بعد أن كانت طريق المواصلات النيلية الى الثغر • وكانت ترعة الاسكندرية موجودة فى عهد الفراعنة ، مع اختلاف فى التخطيط ، وقد عنى بها البطالمة لأهميتها التجارية للاسكندرية حيث كانت طريق الملاحة بينها وبين النيل• وفى سنة ٨٧٢ ــ ٨٧٣م أمر أحمد بن طولون بحفرها بتخطيطها الذى صارت اليه ، ثم جدد السلطان الظاهر بيبرس حفرها ، كما جدد حفرها السلطان الناصر

محمد بن قلاوون ، واشتغل فى حفرها وتطهيرها ٤٠٫٠٠٠ عامل – وأقيمت عليه القناطر والسدود ، وجرت فيها السفن طول السنة ، واستغنى أهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج ، وعمرت الأراضى والبلاد على جانبيها ثم أهمل الولاة الأتراك والبكوات المماليك شأن هذه الترعة ، حتى جفت ، وارتفع قاعها عن ضعف عمقها الأصلى ، فكان لا يدخلها الماء فى معظم السنين الا فى وقت زيادة النيل ثم تجف بقية السنة ٠ وكان أهل الاسكندرية يحتفلون بمجيء مياه الترعة ويخزنون الماء فى الصهاريج ويبتهجون بذلك كما يبتهج سكان القاهرة بمهرجان وفاء النيل ٠ وفى عهد الحملة الفرنسية بلغ عدد صهاريج الاسكندرية ٣٠٨ ، وكانت تسع من المياه ما يكفى المدينة مدة ثمانية عشر شهرا ٠ وقد كان بسبب جفاف مياه ترعة الاسكندرية أن كانت المتاجر الأوروبية تصل اليها من ثغور البندقية ومارسيليا وثغور السلطنة العثمانية ، ثم تنقل منها الى رشيد بحرا فى المراكب المصرية المعدة للملاحة فى النيل ، وتمضى فى فرع رشيد الى القاهرة ٠

وقد وصف جراتيان لوبير صهاريج تخزين المياه بأنها منشآت بنيت تحت الأرض ، ولها قباب تدعمها عواميد على شكل قناطر مقوسة من طابقين أو ثلاثة

طوابق ، جدرانهـا الداخلية مطلية بطبقة سميكة من الأسمنت الأحمر المسـمط ، الذى لا تنفذ من مسـامه المياه ، وقد أنشئت عـلى قيمان متفـاوتة الارتفاع ، ولكنها على الدوام أدنى من سطح البحر بحوالى ٥ ـ ٦ أمتار ، وهى واسعة وعميقة ومتعددة الفتحات . وكان عدد هذه الصهاريج قبل مجيء الحملة الفرنسية ببضع سنوات يصل لحوالى ٣٨٠ ـ ٤٠٠ ، لكنه بسبب الاهمال فى الصيانة وصل الى ٣٠٨ كما ذكرنا .

وعـلى الرغم من أن عـدد الحمـامات فى مدينـة الاسكندرية فى الماضى كان هائلا ، الا أنه تناقص فى عهد الحملة الفرنسـية الى حمـامين أو ثلاثة فى كل أطلال المدينة ، وكان واحد منها مفتوح للعامة ، وهـو يشبه كل الحمامات المفتوحة للعامة فى القاهرة وسائر المدن المصرية .

ومن المنشآت التى جـذبت الاهتمام مسـلتان من الحجر الجرانيتى عرفتا باسـم مسلتى كليـوباترة ، أحـداهما مقلـوبة ، والأخـرى قائمـة ، وحجماهما متماثلان ، وكان ارتفاع المسـلة المقلوبة حتى القمـة الهرميـة هو ١٨ر٥١٦ مترا وعرضـهـا ٢ر٣٨٢ مترا وفقا لقيـاس جراتيان لوبير ،الذى يتحـدث عن نزع المسلات من مصر على يد أباطرة الشرق والغـرب من

القسطنطينية الى روما ، ويقول انه فى رحلته الى روما أحصى حوالى ١٠ الى ١١ مسلة ارتفعت فى زهو لتتحدث عن أمجاد روما ·

كذلك وجد من هذه المنشآت عمود السوارى ، الذى كان معروفا الى ذلك الحين باسم عمود بومبى ، وسط أطلال معبد السرابيوم ، وقد أقامه أهل الاسكندرية بأنفسهم وأهدوه الى الامبراطور الرومانى دقلديانوس تقديرا منهم لانقاذهم من احدى المجاعات · وكان الهدف من اقامته أن يستعمل دليلا للسفن التى يمكنها أن تلمحه على بعد يزيد على فرسخين ·

وقد عثر بين كثير من الخرائب على ديرين ومعبد يهودى · أما المعبد فكان يقع بالقرب والى الجنوب من مسلتى كليوباترة ، وتقع مقابرهم الى ما وراء المدينة الخربة الى الشرق من برج الرومان · والى الشرق من المعبد يوجد دير يونانى · وفى وسط المدينة الخربة يوجد دير آخر للمسيحيين الكاثوليك · كذلك وجد مسجدان : الأول هو جامع السبعين ، والمسجد الثانى هو جامع سانت أثناز ، وكان فى أصله كنيسة بنيت فى نهاية القرن الثالث على يد الأسقف سانت أثناز ، ثم حولها العرب الى مسجد بعد أن أصبحت كنيسة القيصرون أو الكيزاريوم Coes-arium هى الكنيسة

الرئيسية ، وسمى هذا المسجد بالجامع الغربى أو جامع الألف عامود • ويحتوى هذا المسجد على رواق بالغ القيمة وبه حوض من الرخام الصناعي الأخضر ، وقد ظل مجهولا حتى مجيء الحملة الفرنسية التى كانت تنوى نقله الى فرنسا لولا تطور الأحداث •

وعلى شاطىء الميناءين الشرقي والغربى كانت توجد بعض الأرصفة البحرية لتسهيل عملية الابحار ، فضلا عن المحال والمبانى الأخرى المرتبطة بخدمة ورش اصلاح السفن ، والتى كانت فى حالة من الاهمال والخراب يشهدان على روح اللامبالاة من جانب الحكومة التركية التى تركت كل شيء يتآكل وينهار دون ترميم أو صيانة •

وقد بقيت فى الاسكندرية بعض السفن التجارية الكبرى ، وسفن الكرافيل ، وهى نوع من الفرقاطات التركية المزودة بـ ٤٠ الى ٥٠ مدفعا ، والمراكب التجارية التى تقوم بالتجارة ونقل البضائع بين المدن الساحلية أما طبقة السكان التى تعمل فى خدمة البحرية ، فكانت تسكن شواطىء الميناءين ، وبالذات الشواطىء الواقعة الى الجنوب من شبه جزيرة فاروس • أما أهل الاسكندرية الذين يعملون بالصيد أو بالتجارة الساحلية فكانوا بحارة شديدى المراس وغطاسون ذوو مهارة •

وقبل مجيء الحملة الفرنسية الى مصر كانت الاسكندرية تضم ــ حسبما يذكر أوليفييه Olivier ٨٨ مسجدا ، من بينها ٣٦ مسجدا من الدرجة الأولى ، و٤٢ من الدرجة الثانية ، و٢٠٠ نول لصنع المنسوجات الحريرية الخفيفة والخاصة بملابس الطبقة الثرية من كلا الجنسين ، و ٤٠٠ نول لنسج قماش التيل الذى يرتديه أبناء الطبقات الشعبية ، و ٥٠ نولا لصنع منسوجات صوفية لملابس العربان ، و ٣٠ مصنعا للصابون تستورد الزيوت اللازمة لها من شبه جزيرة المورة وكريت وسوريا • كما كان يصنع فى الاسكندرية أيضا الجلد المراكشى الأحمر ــ وهى جلود ثمينة بالغة الجودة •

وكان تعداد شعب الاسكندرية أثناء فترة وجود الحملة الفرنسية يبلغ ــ وفقا لجراتيان لوبير ــ ثمانية آلاف نسمة ، وقد تناقص الى سبعة آلاف فقط عند جلاء الفرنسيين • ويتكون هذا الشعب من مصريين ، ومن أتراك وعرب ومغاربة وأروام وسوريين ويهود، ومن بعض المسيحيين من الأوروبيين • وقد نقص هذا العدد الى سبعة آلاف عند جلاء الفرنسيين ، بسبب اضطراب الأحوال فى الاسكندرية عقب الاحتلال الفرنسى ، وكثرة ما فرضه الفرنسيون من الغرامات والمصادرات، والى الحصار البحرى الذى ضربه الانجليز عليها ، ثم

ركود حركة التجارة وظهور وباء الطاعون الدملى فيها ، الذى كان يأتيها كل عام .

ومن الواضح أن الاسكندرية كانت قد فقدت أهميتها العلمية ، فلم يظهر بها عدد يعتد به من العلماء المبرزين كما كان الحال فى القاهرة التى كان فيها الجامع الأزهر . بل ان بعض علماء الاسكندرية كانوا يذهبون سنويا الى الجامع الأزهر للدراسة ، فيتحدث المرادى فى كتابه عن « أعيان القرن الثامن عشر » أن الشيخ على الأسمر ، العالم الفقيه ، كان « كل سنة يأتى من اسكندرية بعد عيد الفطر الى الجامع الأزهر يدرس به ثم يرجع الى بلده فى أول الثلاثة أشهر » .

وفى الوقت نفسه لم تكن الاسكندرية خالية من القلاقل والاضطرابات التى كان يمتلىء بها ذلك العهد . فيذكر الجبرتى عن أحداث عام ١٧٨٤ أنه حدث بالاسكندرية شغب وفتنة بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار ، بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة ، وقبضوا على السردار ، وأهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات » .

ويدل تاريخ الفتن والثورات فى مصر اليونانية على أن سوق الحكام المكروهين على حمير فى شوارع

الاسكندرية واهانتهم على هذا النحو كان من الطقوس التقليدية المصاحبة لفتن الاسكندرية وثوراتها .

وقد دهش الفرنسيون لمنظر سكان الاسكندرية الذى خالف ما كان منطبعا فى أذهانهم . كتب بونابرت الى حكومة الادارة يقول : « هذه الأمة تختلف كل الاختلاف عن الفكرة التى أخذناها عنها من رحالتنا . انها أمة هادئة باسلة ، معتزة بنفسها » . وكتب أخوه لوى فى خطاب لجوزيف بونابرت يؤمن على هذا الرأى ويقول :

« ان فى الشعب رباطة جأش مدهشة ، فلا شىء يهزهم ، وليس الموت عندهم أكثر من رحلة عبر المحيط عند الرحل الانجليزى ، أما طلعتهم فمهيبة ، واذا قارنا طلعتنا ، حتى أقواها وأبرزها ملامح ، بطلعتهم فانها سوف تبدو كطلعة أطفال » .

أما بالنسبة لأزياء الأهالى ، فقد كتب أحد الجنود الفرنسيين يقول انه « قد يبدو زى الأهالى لأول وهلة عديم الشكل ، ولكنى بعد أن تأملته جيدا أدركت أنه أكثر مهابة من زينا . فهم يحلقون رؤوسهم ، ويلبسون طاقية حمراء صغيرة يسمونها بالعربية « طربوشا » ، ويطوون حولها عمامة خمس أو ست طيات . ويرتدون عدة قفاطين فضفاضة من الحرير أو القماش ، بعضها فوق بعض ، وكلها طويل يصل الى الكعب كأثواب

الكهان • أما سيقانهم ، وأرجلهم فى الغالب ، فعارية ، وهم يطلقون لحاهم فتطول وتضفى على شيوخهم مهابة وجلالا» • وكان هؤلاء الرجال ينفقون سحابة نهارهم جالسين على عتبات دورهم ، أو فى المقاهى ، ويحتسون القهوة ، ويترفعون عن العمل » •

على أن منظر النساء لم يعجب الفرنسيين، خصوصا نساء الطبقة الدنيا ، اللاتى كن يرتدين جلبابا واحدا، أزرق فى العادة ، ويسرن حافيات الأقدام عاريات السيقان ، ويلطخن حواجبهن بالكحل ، وأظافرهن بالحناء ، ويكشفن فى مرح عن أى عضو من أعضائهن الا وجوههن أما الأطفال فعراة •

★★★

بدأ غزو بونابرت للاسكندرية فى ليلة ٢ يولية سنة ١٧٩٨ ، وكانت الجهة التى نزل اليها الجنود هى جهة العجمى التى تبعد عن الاسكندرية غربا نحو اثنى عشر كيلو مترا • وفى نحو الساعة الثانية من صبيحة يوم ٢ يولية كان عدد الذين نزلوا الى البر قد بلغ نحو خمسة آلاف جندى من فرق الجنرالات : كليبر Kleber وبون Bon ومينو Menou • وفى منتصف الساعة الثالثة زحفت هذه القوات على الاسكندرية بحذاء الشاطىء لتصل الى أسوار المدينة عند شروق الشمس ، وتأخذ فى حصارها •

كانت الحملة الفرنسية مكونة من ٥٥ مركبا حربيا، و ٢٨٠ نقالة تحمل ٣٦٫٨٢٦ جنديا ، فيما عدا الخيول والمدافع ، كما كانت تضم اليها جماعة كبيرة من صفوة علماء فرنسا • وكانت قد غادرت طولون ظهر يوم ١٩ مايو ، واستولت على مالطة يوم ١٠ يونية ، وغادرتها الى الاسكندرية يوم ١٩ يونية • وعندما علم بونابرت بأن الأسطول الانجليزى يطارده لم يتبع فى طريقه الى الاسكندرية خطا مستقيما ، بل توجه الى كريت ليصلها فى ٢٥ يونية ، وفى ٢٦ يونية اتخذت الحملة طريقها الى الاسكندرية لتصل الى مياهها يوم ٣٠ يونية •

وكان قد سبق وصول الحملة الفرنسية الى الاسكندرية قدوم الأسطول الانجليزى بقيادة الأميرال نلسون Nelson الى الاسكندرية للتفتيش عن الأسطول الفرنسى ، وأرسل قاربا به عشرة ضباط الى البر ، حيث قابل السيد محمد كريم ، حاكم الاسكندرية، وبعض كبار البلد ، وأخبروهم بأن الفرنسيين قد يهاجمون مصر ، وطلبوا السماح للأسطول الانجليزى بالوقوف فى البحر للتصدى للأسطول الفرنسى عند قدومه • ولكن السيد محمد كريم تشكك فى أقوالهم، ورفض عرضهم ، على أساس أن الفرنسيين ليست بينهم وبين الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ،

عداوة ، ولم يفعل المصريون ما يستوجب عداءهم ، وبالتالى فيستبعد قدومهم الى مصر ٠

ولم يجد الأسطول الانجليزى بدا من مغادرة مياه الاسكندرية يوم ٢٩ يونية ٠

على أن هذه الأخبار أحدثت هياجا داخل الاسكندرية ٠ فمنذ احتلال الفرنسيين مالطة سرت الاشاعات بأن « الافرنج » يعتزمون احتلال مصر ، وكلمة « الافرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء ، مع أن الاشاعات كانت تحدد الفرنسيين بالذات ، الا أن محمد كريم عندما رأى الأسطول الانجليزى خشى أن يكون الانجليز هم الذين يريدون مصر ، ورفض بقاءهم فى مياه الاسكندرية ، ففقد فرصة تاريخية نادرة لحماية مصر من الغزو الفرنسى ٠

على أن زيارة الأسطول الانجليزى لمصر أفادت فقط فى أن الاسكندرية لم تفاجأ بالغزو ، بل أخذت تستعد للمقاومة ، عن طريق تحصين القلاع وزيادة عدد الجنود بالمتطوعين ٠ وفى ذلك يقول الكولونيل سلكوسكى Sulkowsky أحد ضباط الحملة الفرنسية :
« وصلت منذ شهرين عن طريق الاستانة أنباء الحملة ، فأخذ الأمراء (المماليك) يستعدون ، ولا نعلم الى أى حد بلغ استعدادهم ، ولكن الخبر الذى أزعجنا هو قدوم الأسطول الانجليزى الى الاسكندرية ؛ ومغادرته اياها

قبل وصولنا ، وقد انزعجت له البلاد ، وظنه الناس أسطول الفرنسيين الذين يتوقعون حضورهم منذ مدة • ومن يومئذ أخذ جميع الأهالي يعدون العدة للمقاومة ، فحملوا السلاح ، انضم اليهم المغاربة من ضواحي الثغر، وتحصنوا بالأسوار ، بينما كان أربعمائة من الفرسان يجوبون الضواحي استعدادا للقتال ، ولم يمكث الانجليز بمياه الاسكندرية الا يوما واحدا ثم غادروها •

وهـذا ما عـرفه الجنرال بونابرت من القنصل الفرنسي بالاسكندرية قبل انزال قواته، فعندما اقترب الأسطول الفرنسي من الاسكندرية ، أرسل بونابرت السفينة « جينون » Junon لاستدعاء القنصل الفرنسي لاخبار الفرنسيين بقدوم الحملة ، وعادت السفينة بالقنصل ، الذى روى لبونابرت « وقد خالطه الرعب بعد أن نجا من القتل على يد الشعب الهائج ، انه عندما قدم الأسطول الانجليزى للتفتيش عن الأسطول الفرنسي » ، ظنه الأهالي فرنسيا فانفجر بركان الهياج في البلاد كلها لشعورهم باقترابنا ، وكانوا يتوقعون ذلك من يوم أن علموا باحتلالنا لمالطة ، وقد استعدوا للمقاومة ، فأخذوا يحصنون القلاع ويزيدون عدد المتطوعين ، يجمعون جيشا من العرب ، وأن حاكم الاسكندرية لم يأذن للقنصل بالمقابلة الا مصحوبا بجماعة من بحارة الاسكندرية ، وعهد اليهم ارجاعه الى الشاطيء •

وهذا هو السبب فى قرار بونابرت بسرعة انزال جنوده فى ليلة ٢ يوليـة ١٧٩٨ ، قبل أن يباغت بالأسطول الانجليزى ، وبأن تسارع هذه القوات الى الزحف على الاسكندرية لتفاجىء السكندريين قبل أن يجدوا وقتا للتنظيم الدفاع عن المدينة • وقد وصلت القوات الى سور الاسكندرية عند شروق الشمس كما ذكرنا ، واتخذ بونابرت من قاعدة عمود السوارى معسكره العام يرقب منها حركة الهجوم ويصدر أوامره لقادة جيشه •

أما أهالى الاسكندرية فمنذ أن ظهر الأسطول الفرنسى فى البحر عند غروب الشمس ، دب فيهم الرعب ، وتولاهم الفزع عندما رأوا وجه البحر تغطيه المراكب• فبادر حاكم المدينة محمد كريم الى اخبار مراد بك فى القاهرة بقدوم الحملة ، وطلب اليه ارسال نجداته ، وفى الوقت نفسه شرع فى اعداد المدينة للدفاع عن نفسها ، عن طريق تحصين أسوارها ثم نقل الميرة والذخيرة الى القلاع ، ووضع المدافع العتيقة على الأسوار استعدادا للمقاومة ، وعهد الى جماعة من الفرسان بمناوشة القوات الفرنسية عند اقترابها ، فحدثت مناوشات بينهم وبين الفرنسيين ارتد على أثرها العرب جنوبا ، وتابع الفرنسيون زحفهم على المدينة • واحتشد الأهالى يحملون السلاح على الأسوار وفى الأبراج التى تتخللها للدفاع •

وقد قسم بونابرت قواته الى ثلاث فرق الأولى الى الغرب تجاه الحصن المثلث ، وهى فرقة الجنرال مينو ، والثانية في الجنوب أمام باب سدرة ، وهى فرقة الجنرال كليبر ، والثالثة فى الشرق أمام باب رشيد وهى فرقة الجنرال بون • ومع أن الأسوار كانت ضعيفة فى كثير من أجزائها ، وبها ثغرات كبيرة رممت حديثا بعجلة ، الا أنه كان من العسير احداث ثغرة كافية فيها بدون استخدام المدافع ، وبينما كان الفرنسيون يحاولون تسلقها قذفهم المدافعون بوابل من الأحجار والرصاص، وقاومت الأبراج مقاومة عنيفة ، وأصيب الجنرال كليبر الذى كان يصدر تعليماته لرجاله من أسفل السور بجرح شديد من رصاصة فوق الحاجب ، كما أصيب الجنرال مينو بسبعة جروح من الأحجار المتساقطة ، ويندر أن يصاب قائدان هذه الاصابات فى الدقائق الخمس الأولى فى أية حملة حربية • على أن هذه المرحلة انتهت سريعا ، فقد اقتحم الجنود الأسوار ، وتقهقرت المقاومة الى داخل المدينة تتبعها القوات المهاجمة التى وصلت الى المناطق السكنية ، حيث نشب القتال فى شوارع المدينة وانهال الرصاص من نوافذ وأسطح البيوت على المهاجمين ، فيؤخذ من تقرير بونابرت الى حكومة الادارة أن « كل بيت كان قلعة » ، وعندما ظن جنود الحملة أن المدينة استسلمت اذا بالرصاص ينهال على فريق منهم وهم يمرون أمام أحد

المساجد ، وأمر قائد المجموعة باقتحام المسجد والقضاء على من فيه ، فهلك الرجال والنساء والأطفال بحد السونكى ، ولم يبق الا ثلث المدافعين . وكاد بونابرت نفسه يفقد حياته حين كان يمر فى زقاق لا يتسع لمرور أكثر من رجلين ، فأطلق أحد القناصة النار عليه من نافذة أحد البيوت ، ورد الجند باطلاق النار ، وتسلق غيرهم الى داخل البيت عن طريق الأسطح ، فوجدوا القناصة رجلا وامرأة ، فقتلوهما فى الحال . وفى ذلك الحين كان السيد محمد كريم يدافع داخل قلعة قايتباى التى كان يتولى القيادة فيها ، وقد استمر فى المقاومة الى ساعة متأخرة من الليل الى أن كلت قواه ورأى أن المقاومة لا تجدى ، فكف عن القتال .

فى ذلك الحين وازاء ما كان واضحا من تفوق الفرنسيين عرض قائد السفينة العثمانية التى كانت راسية بالثغر ، وهو ادريس بك ، خدماته للتوسط فى تسليم المدينة ، وكان بونابرت قبل هجومه على الاسكندرية قد أرسل الى الوالى العثمانى أبو بكر باشا والى ادريس بك رسالتين يعرب فيهما عن مقاصده الودية نحو السلطان ويعلن أنه انما قدم لمحاربة المماليك . وقد توسط ادريس بك بالفعل فى تسليم المدينة ، وكلفه بونابرت بأن يخبر الشيوخ والعلماء والأعيان أن المزيد من المقاومة سيضطره الى القضاء عليهم . وما لبث أن حضر قبيل الظهر وفد الى مقر القيادة عند عمود

السوارى لتسليم المدينة ، وأعلن محمد كريم استسلامه للفاتح • ورأى بونابرت أنه من حسن السياسة أن يكون كريما ، فتلقى محمد كريم لقاء كريما ، وغفر له مقاومته للهجوم ، وثبته حاكما على الاسكندرية ، ووكل اليه حفظ النظام وتموين الفرنسيين •

وقد أجمعت تقارير قادة الحملة على شجاعة الأهالى فى الدفاع عن الاسكندرية • فقد كتب الجنرال برتييه Berthier رئيس أركان الحملة الفرنسية ، فى رسالته الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٦ يولية ١٧٩٨ يقول ان الأهالى « دافعوا عن أسوار المدينة دفاع المستميت ، وقد أصيب فى هذه الموقعة الجنرال كليبر بعيار نارى فى جبهته ، فجرحا جرحا بليغا ، وأصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، فنالته رضوض شديدة ، وأصيب الأدجودان جنرال اسكال Escale بجرح بليغ فى ذراعه من عيار نارى ، وقتل الجنرال ماس Mass وخمسة ضباط آخرون » • وكتب مينو الى بونابرت يقول : « ان الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الاقدام والهمة والذكاء وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ، لأن الأعداء (الأهالى) قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة وثبات عظيم » • وقد قدر بونابرت خسائر الجيش الفرنسى فى مهاجمة الاسكندرية فى رسالته الى حكومة الديركتوار بثلاثين قتيلا ، وثمانين الى مائة جريح •

وقدرها بعد ذلك فى مذكراته بثلاثمائة ما بين قتيل وجريح ، وأمر بدفن قتلى الفرنسيين حول عمود السوارى ، باحتفال عسكرى كبير ، ونقشت أسماؤهم على قاعدة العمود .

كانت الاسكندرية أول مدينة مصرية احتلها بونابرت ، وهى فى نفس الوقت أول مدينة عربية اسلامية من بلاد الدولة العثمانية تتعرض لغزو عسكرى أوربى مسيحى فى التاريخ الحديث ، كما أنها تنتمى لحضارة شرقية قديمة تختلف اختلافا من حضارة الشعوب الأوروبية التى عرفها بونابرت ، ولذلك عنى بونابرت برسم سياسة تضمن له اجتذاب قلوب أهلها وأهل مصر ، وذلك من قبل أن تطأ قدمه أرض الاسكندرية ، فأعد منشورا لأهل البلاد يوم ٢٧ يونية ١٧٩٨ على ظهر بارجة القيادة L'orient وصاغه فى قالبه العربى جماعة المستشرقين والتراجمة الذين أحضرهم معه ، وطبع على ظهر البارجة بالمطبعة العربية التى جاء بها ، فكان أول وثيقة عربية طبعت على هذه المطبعة ، وأمر قبل مغادرته الاسكندرية أن تنقل المطبعة العربية والمطبعتان اليونانية والفرنسية من البارجة الى منزل قنصل البندقية بالاسكندرية ، وأن تهيأ هذه المطابع بحيث تكون معدة للعمل فى ثمان وأربعين ساعة ، وأن يطبع على المطبعة العربية أربعة آلاف نسخة من المنشور .

ويحمل هذا المنشور تاريخ ٢ يولية ١٧٩٨ ، وهو يوم احتلاله للاسكندرية ، وكان المنشور معدا ومطبوعا على المطبعة العربية قبل رسو الأسطول الفرنسى ٠

وقد أعلن بونابرت فى هذا المنشور أنه لم يأت لمحاربة السلطان العثمانى ، وانما أتى لمحاربة السناجق ـ أى المماليك حكام المديريات ، عقابا لهم على معاملتهم الفرنسيين بالاذلال والاحتقار واعتدائهم على تجارهم ٠ وذكر المصريين بالمظالم التى يرتكبها هؤلاء المماليك الغرباء المجلوبين من « الأبازة » ـ أى من جورجيا والقوقاز ، وكذب ما يشيعونه من أنه نزل بمصر بقصد ازالة الدين الاسلامى ، قائلا ان ذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه العظيم والقرآن العظيم » ٠ ثم أخذ بونابرت يبشر بمبادىء الثورة الفرنسية فى المساواة قائلا : « ان جميع الناس متساوون عند الله ، وان الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط » ، وسخر من المماليك قائلا ان بينهم وبين العقل والفضائل تضارب ، ولا يوجد ما يستوجب أن يتملكوا به مصر وحدهم ، « ويختصوا بكل شىء أحسن فيها ، من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة » ٠ ومن هنا وعد أن ينتقل ذلك كله الى المصريين » : من الآن

فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيديرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها » • ثم ذكر المصريين بمجدهم القديم قائلا : « سابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان (الترع) الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك » •

وطالب المنشور المشايخ والقضاة والأئمة والأعيان البلد بأن يقولوا لأمتهم « ان الفرنسيين هم أيضا مسلمون مخلصون » ، وان دليل ذلك أنهم ضربوا كرسى البابا فى روما ، وهو الذى كان يحث النصارى على محاربة الاسلام ، كما أنهم أزالوا من مالطة حكم « الفرسان » (فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحكمونها من أيام الامبراطور شارل الخامس) والذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين •

كانت أهمية منشور بونابرت الذى أذيع فى الاسكندرية يوم ٢ يولية ١٧٨٩ أنه كان أول منشور لفاتح أجنبى يتحدث عن حكم المصريين أنفسهم بأنفسهم، كما أنه أول منشور يستثير الروح القومية المصرية بما أشاد من مكانة مصر وعظمتها السابقة •

وفيما يبد أنه أحدث تأثيرا كبيرا ، اذ بعد اصدار المنشور كتب الجنرال ديزيه Desaix يطلب مزيدا من النسخ قائلا : « ان المنشور يحدث تأثيرا كبيرا » . على أن بونابرت نفسه اعتبر المنشور ــ وهو يعقب عليه في منفاه بسانت هيلانة : « قطعة من الدجل ، ولكنــه دجل على أعلى مستوى » !

وقد صحب توزيع المنشور محاولة بونابرت اجتذاب الأهالى ، فقد بادر عقب احتلاله الاسـكندرية الى دعوة مشايخ المدينة وأعيانها لمقابلته، وفى هـذه المقـابلة أعرب لهم عن تمنيه للشعب المصرى بالسعادة والرفاهية، وطارحهم الرأى فى اصلاح البلاد ، وطمأنهم على حياتهم وأموالهم طالما لا يحاربون الجيش الفـرنسى ، ورد الى السيد محمـد كريم سـلاحه ، وقال له فى مجلس من أعيان المدينة : « لقد أخذتك وسلاحك فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معـاملة الأسـير ، ولكنك استبسلت فى الدفاع عن المدينة ، والشجاعة متـلازمة مع الشرف ، ولذلك فانى أعيـد اليك سـلاحك ، وآمل أن تبـدى للجمهـورية الفرنسية من الاخـلاص ما كنت تبـديه للحكومة السيئة السابقة » !

وبعد احتـلال الاسـكندرية بيـوم واحد أصدر الجنرال برتييه ، رئيس أركان الحرب ، أمرا يتضمن تعليمات القائد العام فى هـذا الصـدد ، وأهمها أن

وقد كان على بونابرت بعد ذلك أن يسارع بالزحف على القاهرة قبل أن يحين موعد الفيضان الذى يجعل المنطقة مستحيلة العبور اذا انتصف شهر أغسطس ، فاصدر فى ٣ يوليو أمره الى فرقة الجنرال ديزيه ببدء الزحف على دمنهور ، ثم تبعتهم فرقة رينييه Reynier فى ٥ يوليو ، وتقرر أن تتلو الفرقتين الفرق الثلاث الباقية فى اليومين التاليين : اثنتان بطريق دمنهور ، والثالثة بطريق رشيد ، وأن يلتقى الجيش كله فى الرحمانية على الفرع الأيسر لدلتا النيل ، وقبل أن يغادر بونابرت الاسكندرية يوم ٧ يولية عين الجنرال كليبر قائدا وحاكما لدائرة الاسكندرية وضواحيها ، والجنرال مانسكور Manscourt قائدا للموقع والكابتن لو بلاى Le Pelley قائدا للميناء ، وعهد الى الكولونيل كريتان Cretin بتحصين ثغر الاسكندرية وترميم قلاعه القديمة ، وانشاء قلاع جديدة ، لجعلها بمأمن من البوارج الانجليزية • وأوصى الجنرال كليبر بأن يبذل كل ما فى وسعه « لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى ، وابداء كل أنواع الاحترام للمفتين ولرؤساء المشايخ فى المدينة • كما أمر بابقاء محمد كريم حاكما للاسكندرية ، وكتب اليه خطابا يوم مغادرته الاسكندرية يبدى فيه رضاءه التام لمسلكه منذ قدوم الجيش الفرنسى ، وأنه يعرب عن هذا الرضاء عنه بتعيينه فى وظيفة محافظ دائرة الاسكندرية • وأبلغه بانه سوف يتلقى

تعليماته من خلال الجنرال كليبر القائد العام للجهة ولكن له أن يراسله مباشرة متى شاء •

على أن الأحوال في الاسكندرية لم تلبث أن سارت في اتجاه معاكس لما كان يتوقع بونابرت • ذلك أن حالة الحرب جعلت الاسكندرية في شبه حصار بحرى شل حركة السفن وعطل التجارة ، التى هى أكبر مورد لثروة الأهالى • ولذلك أخذ الكساد يضرب في المدينة على نحو أثار التذمر والسخط على الاحتلال الفرنسى ، وزاد الأمر سوءا أن بونابرت فرض على المدينة بعد احتلالها غرامة حربية قدرها ١٥٠ ألف فرنك ، وهى غرامة باهظة اذا قيست بما كانت عليه المدينة قبل الغزو من التأخر الاقتصادى ، كما فرض قرضا بضمان اضافى من حصيلة الجمارك المنتظر جمعها من الميناء ، ثم حصل على نقود من التجار المحليين نظير سبائك من الذهب والفضة ، وجرد أهل الاسكندرية من السلاح ، وصدرت الأوامر لهم بأن يضعوا الشارة المثلثة الألوان دليلا على ولائهم للجمهورية ، وهو ما كان يجعل منظرها غريبا فوق عماماتهم ، واختص كبار المشايخ وبضعة من صفوة الأعيان بلبس الوشاح الأزرق والأحمر والأبيض شأن العمد الفرنسيين ، وأيضا بتلقى التحية العسكرية ، ولكن هذا التمييز لم يمس قلوبهم مسا عميقا كما ينبغى ، لأن سيكولوجية شيوخ المسلمين تختلف عن سيكولوجية الساسة الفرنسيين •

وفى نفس الوقت لم يستطع الجنود الفرنسيين كبح جماح أنفسهم ، فكانوا يخرجون على النظام ويرتكبون السرقات ، الأمر الذى أثار حفيظة الأهالى عليهم ، وقد ذكر كليبر فى رسالة له الى بونابرت أن بحارة الأسطول قد خربوا ضواحى أبى قير ، فكانوا يسرقون ثمار الأشجار ، ويقطعون النخيل من جذوعه • وفى يوم ١٣ يولية وجد أحد جنود مدفعية الاسطول قتيلا ، وفى الوقت نفسه ألقى فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا • وترامى الخبر فى المدينة وتحفز الناس للهياج ، وواجه كليبر الموقف بالشدة ، فاعتقل بعض أعيان المدينة بصفة رهائن • واستدعى حاكم المدينة محمد كريم والقاضى الشرعى وكبار الأعيان ، وطلب منهم البحث عن الجناة ومعاقبتهم طبقا لقوانين البلاد ، أو يشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن فى حالة عدم معاقبة الجانى • وقد تبين أن الجانى ، واسمه السيد أحمد ، قد هرب ، فحوكم غيابيا بالمحكمة الشرعية ، وحكم عليه قاضى الاسكندرية بالقصاص بمحضر جمع من العلماء وأعيان المدينة ، وكتب بذلك اعلام شرعى • وفيما يبدو أن الجنرال كليبر تحقق من أن الجندى القتيل قد ارتكب مايستحق عليه القتل ، لأنه وجه منشورا عقب الحادثة الى الجنود حذرهم فيه من أنهم سوف يستهدفون لأمثال هذه الحوادث اذا لم يلتزموا باحترام أملاك الأهالى وعاداتهم

ودياناتهم ، وقرر أن كل من يتسلق بيتا من بيوت المسلمين أو غير المسلمين لأى سبب من الأسباب ، يعد سارقا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من يستخدم الأسلحة النارية فى صيد الحمام داخل المدينة ويعرض حياة الناس للخطر كما حدث من قبل يعد قاتلا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من ينتهك شعائر المسلمين الدينية فى المساجد أثناء صلواتهم أو وضوئهم يعد محرضا على الاخلال بالنظام ويحكم عليه بالاعدام ٠

على أن روح الكراهية للفرنسيين لم تلبث أن أخذت تسفر عن نفسها ، وتبين ذلك حين أمر كليبر بتسيير كتيبة من الجنود تجوب بعض جهات مديرية البحيرة ، واختار الجنرال ديموى Dumuy فقد هرب الأهالى الجمال حتى لا تستعين بها الكتيبة ، ثم ظهرت الجمال فى اليوم التالى لخروج الكتيبة يوم ١٧ يولية ، وعلى طوال جولة الكتيبة كانت تتعرض للهجوم من الأعراب بشكل يتزايد فى طريقها الى دمنهور . ولما دخلت المدينة لقيت بها تمردا شديدا ،، فاعتزمت الكتيبة العودة الى الاسكندرية وعدم اكمال سيرها الى رشيد ، ووصلت الى الاسكندرية يوم ٢٠ يولية بعد أن خسرت ثلاثين ما بين قتيل وشريد ٠

وقد لاحظت القيادة الفرنسية أن البلاد التى مرت بها الكتيبة الفرنسية كانت تعلم بقدومها من قبل

وصولها ، كما لاحظوا أن أهالى دمنهور كانوا مستعدين لاستقبالهم بالمقاومة ، الأمر الذى دل على أن مخابرات سرية قد جرت بين الاسكندرية وبين تلك البلاد قبل قيام الكتيبة ، واتجهت شبهاتها الى حاكم المدينة الوطنى محمد كريم ، خصوصا بعد أن اتخذ موقف الدفاع عن الأهالى في أمر السلفة الاجبارية التى فرضت على تجار الثغر ، لدفعها الى الجيش الفرنسى ، فقد عارض فى فرضها ، وتلكأ فى الموافقة عليها ومساعدة السلطة الفرنسية فى تحصيلها ، لذلك أمر كليبر باعتقال محمد كريم ونقله الى ظهر البارجة « لوريان » يوم ٢٠ يولية حتى يبت بونابرت فى مصيره ٠

وفى نفس يوم الاعتقال جمع كليبر أعيان المدينة ، وطلب اليهم أن يختاروا حاكما للمدينة بدلا من محمد كريم الذى اعتقل للريبة فى اخلاصه للجمهورية الفرنسية ٠ وقد وقع اختيارهم على السيد محمد الشوربجي الغرياني ، ولكن الأخير أبلغ كليبر أن أهالى الاسكندرية يختلفون عن سائر أهالى القطر بأنهم أصعب مراسا وأقرب الى القلق والهياج ، وأبدى له صعوبات ادارة المدينة ، فأقنعه كليبر بالقبول ، وكان الشيخ محمد المسيرى كبير علماء المدينة يعاونه فى عمله وكان أول عمل طلبه كليبر منهما أن يساعدا فى تحصيل السلفة الاجبارية التى فرضها على تجار

واختص العمـال المشتغلين بأعمال التحصـينات بأكبر قدر . وفى أوائل يونية شحت الأطعمة لدرجة اضطرت مينـو الى اخـراج الأفواه العاطلة من الاسـكندرية ، وابعادهم الى الرحمانية . ومنذ نهاية شهر مايو بدات الامراض الناجمة عن المجـاعة تفتك بالاهالى وبجنـد مينو ، وامتنع ورود الاقوات نهائيا ، فانعدم اللحم من الأسواق ، وصار الخبز يوزع على الجند والأهالى مخلوطا بالأرز ، ثم أصبح الارز يوزع وحده ، ثم اختفى الأرز بدوره ، وصار مستشفى الاسكندرية يغص بالمرضى .

ثم أخذ الموقف يزداد سوءا فى الاسكندرية عندما سلمت القاهرة للانجليز ، الذى كانوا فى ذلك الحين قد تعزز جيشـهم بمجيء جيش عثمانى برا من جنـوب سوريا بقيادة يوسف باشا ضيا ، يبلغ عـدده عشرين ألفا ، زحف من العريش وانتصر على الفرنسيين يـوم ١٦ مايو فى منتصف الطريق بين الخانكة وبلبيس فى معركة الزوامل، ثم زحف الجيشان الانجليزى والعثمانى على القاهرة ، واستسلم الجيش الفرنسى فى القاهرة باتفاقية الجلاء فى ٢٧ يونية ١٨٠١ ، وأبحرت بهـم السفن الى فرنسا فى أوائل شهر أغسطس ١٨٠١ .

فقـد قرر الانجليز بقيـادة الجنرال هاتشينسون تشديد الحصار على الاسكندرية عن طريق نقل حـوالى خمسـة آلاف جنـدى بقيادة الجنرال كوت Coot

الى غرب الاسكندرية لاحتـلال سـاحل العجمى وقلعة العجمى ، لارغام الفرنسـيين عـلى توزيع قواتهم بين الشرق والغرب • وتم فى مسـاء يوم ١٦ أغسـطس ١٨٠١ نقل أربعـة آلاف جنـدى مع رجال المدفعيـة والمهندسين على سفن المدفعيـة التركية الصـغيرة التى دخلت بحيرة مريوط منذ ١٣ أغسطس ، وتولى الجنرال كوت القيادة العامة ، وفى الوقت نفسه كانت احـدى البوارج الانجليزية قد تمكنت من الوقوف قريبـا من رأس التين وبدأت فى قذف الاسكندرية بقنابلها • وفى ١٨ أغسطس بدأ هجوم الانجليز على حصن قلعة العجمى (أو حصن مرابط Marabou كما يسميها الفرنسيون) واستطاعوا أن يدخلوا الى ميناء الاسكندرية عددا كبيرا من الفرقاطات والسفن والقراويت والأباريق واتخذت موقعها قبالة الفرقاطات الفرنسـية التى اضطرت الى الاحتماء داخل الميناء ، واعتقد الفرنسيون أن الانجليز يستهدفون انزال الجند عند رأس التين كتوطئة للهجوم على الاسكندرية ، فعمدوا الى اغراق عدد من سـفنهم واتخذوا منها جسرا وضموا فوقه بطاريات مدافعهم ، واستمر القتال حتى يوم ٢٥ أغسطس حتى آذعن مينـو لرغبة قواده فى الاستسلام •

وعلى هذا النحو دارت المفاوضات فى ظل أوضاع سيئة للقوات الفرنسية ، فقد كانت نسبتها الى القوات المحاصرة كنسبة واحد الى عشرة ، وكان للقوات المحاصرة

اربعون بارجة مخصصة للحصار ، فضلا عن أن الأمراض كانت قد فتكت بالحامية الفرنسية ، ونفدت الأقوات من المدينة وانقطع ورود المياه العذبة اليها • وفي يوم ٣١ أغسطس ١٨٠١ تم الاتفاق على شروط الجلاء عن الاسكندرية بين كل من اللورد كيث والجنرال هاتشينسون وحسين قبطان باشا والجنرال مينو ، وتقضي بجلاء القوات الفرنسية عن الاسكندرية وقلاعها وملحقاتها في عشرة أيام ، وتسليم السفن الفرنسية ، ونقل الجنود الفرنسيين على سفن الحلفاء بأسلحتهم وأمتعتهم وعشرة مدافع ، مع تسليم باقي المدافع والذخيرة ، وأن يسلم أعضاء المجمع العلمي ولجنة العلوم والفنون جميع الآثار والمجاميع والخرائط والرسوم والمخطوطات التي جمعوها في مصر •

على أن العلماء الفرنسيين رفضوا تسليم كنوزهم العلمية وهددوا باحراقها ، فسمح لهم باصطحابها معهم ، وفي خلال شهر سبتمبر ١٨٠١ أخذت السفن المقلة للجنود الفرنسيين تقلع من الاسكندرية قاصدة فرنسا ، وكان عددهم ٧٢٠٠ من الجنود ، و ١٥٠٠ من البحارة ، و ١٤٠٠ من المرضى ، و ٦٨٠ من المدنيين ، وكان آخر من غادر الاسكندرية الجنرال مينو الذى أصيب بالطاعون في أواخر أيامه فغادر الاسكندرية يوم ١ أكتوبر ١٨٠١ • وبهذا الجلاء انتهت صفحة الحملة الفرنسية في الاسكندرية خاصة ، وفي مصر عامة •

الاسكندرية فى عهد الاحتلال الانجليزى الأول :

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت السلطة فى مصر ثلاث قوى هى : العثمانيون ، والانجليز ، والمماليك • وبالنسبة للعثمانيين كان يوجد فى ميناء أبى قير أسطول عثمانى بقيادة حسين قبطان باشا ، يتكون من نحو ستة آلاف جندى يحتلون المواقع القريبة من مرمى الأسطول • أما فى ميناء الاسكندرية فكان يوجد أسطول انجليزى بقيادة الجنرال هاتشنسون • وسرعان ما نشب الصراع بين العثمانيين والمماليك بعد أن انتهز العثمانيون الفرصة لاحكام سيطرتهم على مصر ، واضطر المماليك الى طلب مساعدة الانجليز فى هذا الصراع • وقد شهدت الاسكندرية جانبا من هذا الصراع حين دبر حسين قبطان باشا مؤامرة للمماليك فى أوائل أكتوبر ١٨٠١ ، استدعاهم بواسطتها الى زيارته بمعسكره فى أبى قير للاتفاق معهم على تخويلهم سلطة الحكم ، حيث كانت تنتظرهم مذبحة قتل فيها عدد كبير منهم وسيق الباقون الى بارجة قبطان باشا واعتقلوا بها • وقد أثار هذا الحادث غضب الجنرال هاتشينسون وكادت الحرب تنشب بين الانجليز والعثمانيين ، فقد طرد الانجليز العثمانيين من الاسكندرية ، وأغلقوا أبواب الأبراج ، وتوجهت قوة انجليزية لحصار قبطان باشا من البر والبحر • وانتهت الأزمة بتسليم الأسرى المماليك الى الانجليز •

وفي الفترة التاليــة تقلص الوجود العســكرى الانجليزى في مصر حتى انحصر في الاســكندرية تحت قيادة الجنرال كافان Cavan أولا ثم الجنرال ستوارت Stewart ثانيا . ومع أنه تم في ٢٧ مارس ١٨٠٢ ابرام الصلح المعروف بصلح اميان Amiens بين كل من فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا ، ومن شروطه جلاء الانجليز عن مصر، الا أن الانجليز أخذوا يماطلون في الجــلاء ، الأمر الذى اضــطر فرنســا الى ارســال الكولونيل سباستيانى Sebastiani الى الاسكندرية خلال شهر اكتوبر ١٨٠٢ لمطالبة الانجليز بالجــلاء . وأخذت تلح في هذا الجلاء حتى قررت انجلترا سحب قواتها من الاسكندرية . وعندما أبلغ الجنرال ستوارت زعماء المماليك أوامر حكومته بجلاء القوات الانجليزية، وقع هــذا الخبر عليهم وقع الصــاعقة ، لأنهــم كانوا ينظرون للانجليز كحماة لهم .

وفي يوم ١٤ مارس ١٨٠٣ كان الجنرال ستوارت قد أتم استعداداته للجلاء ، ثم سلم قلاع الاســكندرية وأبراجها الى خورشيد باشا محافظ المدينــة يــوم ١٤ مارس ١٨٠٣ ، وأقلــع الأســطول الانجليزى يوم ١٦ مارس يقل الجنود الانجليز وعددهم ٤٫٤٠٠ جندى . وبذلك انتهى الاحتلال الانجليزى الأول .

الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية :

كان بعد جلاء الانجليز عن مصر أن أصبح العثمانيون هم أصحاب الحول والطول فيالاسكندرية . وفي الوقت نفسه تجدد القتال بين العثمانيين والمماليك، وثارت الفتن في الجيش العثماني نفسه ، مما ترتب عليه فرار خسرو باشا ، الوالى العثمانى ، وتمبين طاهر باشا قائمقاما له ، ثم قتل هذا الأخير على يد الانكشارية من جنوده ، وقامت الدولة العثمانية بتعيين على باشا الجزائرى واليا ، وجاء هذا الى الاسكندرية فى أوائل يوليــة ١٨٠٣ بعــد أن استولى المماليك على بقية البلاد فيما عدا رشيد . ثم سقطت رشيد فى أيديهم فى أغسطس ١٨٠٣ ، فأصبحت الاسكندرية هى المدينة الوحيدة في يد العثمانيين ، كما كان الحال فى المرحلة الأخيرة من الحملة الفرنسية ، وأصبح عليها أن تخوض ظروفا قاسية أخرى .

ذلك أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن أخذ يعمل على تحصين الاسكندرية حتى لا تقع فى يد المماليك . وقد قادته سياسته الحمقاء الى ارتكاب ما ارتكبه الجنرال هاتشينسون عند محاصرته الفرنسيين بقيادة مينو فى الاسكندرية ، فقطع سد أبى قير ، دون أن يعى أنه بذلك يحرم نفسه من المياه العذبة . وكان المهندس

السويدى « رودون » Rhodon قد قام باصلاح السد بعد جلاء الفرنسيين بتكليف من الباب العالى .

وقد كان لقطع سد أبي قير على يد على باشا الجزائرلى نفس الأثر التخريبى لقطعه على يد هاتشينسون ، فان مياه البحر المتوسط طغت على شمال البحيرة ، وخربت كثيرا من القرى والأراضى ، وأتلفت ترعة الاسكندرية (المحمودية حاليا) التى كانت تروى الثغر بالمياه العذبة ، فانقطعت المياه عن الاسكندرية ، وتعطلت المواصلات اليها، فاشتد الضيق بأهلها ، واضطر الكثيرون الى النزوح عنها والهجرة منها ، وبعضهم ـ كما يقول الجبرتى ـ غادر مصر كلية ، فسافر الى أزمير ، وبعضهم الى قبرص ورودس . ولم يبق بالاسكندرية سوى الفقراء والعجزة !

وفى نفس الوقت ، كان حكم الجزائرلى باشا فى الاسكندرية حافلا بالجور والظلم ، ومصادرات الناس فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق ، هذا الى جانب اهانته لأهل العلم ، حتى انه سجن الشيخ محمد المسيرى على قدره وعلمه . وفى الوقت نفسه ، وفيما يتعلق بالأجانب فى الاسكندرية ، فانه لم يحترم حقوقهم التى خولتها لهم معاهدات الامتيازات ، وأهان أعلامهم وشاراتهم الموضوعة على متاجرهم ومنازلهم ، وكان جنوده ينتهزون

فرصة خروجهم للتدريب اليومى فى ساحة المنشية ، فيمرون بحى الافرنج ، ويطلقون الرصاص على المساكن ووكالات القناصل ، حتى ضج هؤلاء بالشكوى، وقرروا الانسحاب جميعا الى السفن الأجنبية الراسية بالاسكندرية ، بينما انسحب القناصل أنفسهم الى سفينة حسين قبطان باشا قائد الأسطول العثمانى ، الذى كان يساند خسرو باشا المعتقل بالقاهرة • ولم يقبل هؤلاء النزول الى الاسكندرية واستئناف حياتهم العادية الا بعد أن وعد على باشا الجزائرلى باحترام معاهدات الامتيازات •

على أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن غادر الاسكندرية فى ٢٦ ديسمبر ١٨٠٣ فى قوة تبلغ ٢٥٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان بدعوة من المماليك — الذين تظاهروا بالرغبة فى الوفاق ، لتولى الولاية فى القاهرة ، وكان غرضهم القضاء عليه والاستيلاء على الاسكندرية • ومع أنهم أفلحوا فى قتله عند القرين ، بين بلبيس والصالحية فى ٢٦ يناير ١٨٠٤ ، الا أنهم لم يفلحوا فى الاستيلاء على الاسكندرية •

وقد حاولوا تكرار نفس الحيلة التى حاكوها لعلى الجزائرلى ، وذلك بدعوة أحمد خورشيد باشا ، الذى خلف على باشا فى حكم الاسكندرية ، الى القاهرة لتولى

باشويتها ، وكان غرضهم خضوع الاسكندرية لباشوية القاهرة ، ولما كانت باشوية القاهرة بدورها خاضعة لهم ، فسوف يتمكنون من تعيين حاكم للاسكندرية يكون طوع ارادتهم ·

وقد لعبت السياسة الانجليزية دورا فى محاولة اقناع خورشيد باشا بذلك ، نظرا لأن هذه السياسة كان يهمها أن تكون الاسكندرية في يد البكوات المماليك، الذين كانت تعتقد أن في وسعهم الدفاع عن الاسكندرية ضد أى غزو فرنسى متوقع في ذلك الحين · على ان خورشيد باشا عندما أدرك ان غرض المماليك الاستيلاء على الاسكندرية واخضاعها لسلطة حكومتهم فى القاهرة ، رفض أن يكون تسليم الاسكندرية ثمنا لهذه الباشوية · وقد أقر الباب العالى خورشيد باشا حاكما للاسكندرية، وأمره ألا يقبل دخول المماليك اليها ، وأن يحافظ على الاسكندرية ويحول دون دخول أية قوات اليها سوى تلك التي ترسلها له حكومته برا وبحرا ·

على أن خطر المماليك لم يلبث أن زال ، بسقوط حكومتهم فى القاهرة على يد الثورة الشعبية التى انفجرت فى القاهرة بين ٨ و ١٣ مارس ١٨٠٤ ضدهم ، بعد تزايد مظالمهم على الشعب واعتداءاتهم عليه ، وهى الثورة التى أبرزت دور محمد على · فعندما أراد عثمان بك البرديسى ، الذى أصبح صاحب السلطة فى القاهرة

بعد تخلصه من منافسه محمد بك الألفي ، أن يفرض ضريبة جديدة على جميع الأهالى بلا استثناء ، وكلف عمال الحكومة بجبايتها من كل فرد من أفراد القاهرة من ملاك ومستأجرين ، لكي يتمكن من دفع مرتبات جنوده ، ثار القاهريون ، واشترك معهم محمد على ، قائد الجنود الألبانيين ، فأمر جنوده بمهاجمة المماليك الموجودين بالقاهرة في يوم ١١ مارس ١٨٠٤ ، ففروا ، وعلى رأسهم زعيمهم عثمان بك البرديسى وابراهيم بك ، وسقطت قلعة الجبل في يد محمد على ، وقتل من المماليك وجنودهم فى ذلك اليوم نحو ثلثمائة وخمسين • وانقض الشعب في رشيد ودمياط وسائر عواصم المديريات على الحكام المماليك ، فهربوا الى الصعيد ، وبذلك دالت دولتهم •

وقد قع الاختيار بعد ذلك على أحمد خورشيد باشا ، حاكم الاسكندرية ، ليكون واليا على مصر ، بناء على اتفاق بينه وبين محمد على ، وأطلقت طابيات الاسكندرية مدافعها لاعلان ولاية خورشيد على مصر ، وغادر الاسكندرية الى القاهرة يوم ١٦ مارس ليصلها فى ٢٦ مارس ، وترك وكيله طاهر بك حاكما عليها ، وبذلك أصبحت الاسكندرية تحت حكم باشوية القاهرة ، وتثبت ذلك عندما وصل خورشيد باشا فرمان تثبيت الولاية فى ٢٨ ابريل ١٨٠٤ •

على أن وقوع أحمد خورشيد باشا تحت سيطرة محمد على ، الذى كان يميل الى فرنسا ، لم يلبث أن دعا السياسة الانجليزية الى التفكير فى مشروع يقضى باحتلال الاسكندرية لمنع وقوع غزو فرنسى محتمل على مصر، وأصدرت تعليماتها الى الجنرال السير جيمس كريج James Craig فى البحر المتوسط فى ٢٩ مارس ١٨٠٥ بأنه فى حالة قيام الفرنسيين بأى عمل ضد مصر ، يصبح احتلال الاسكندرية أمرا ضروريا .

ولم يلبث أن زاد خوف السياسة الانجليزية من وقوع غزو فرنسى عندما استقر الأمر لمحمد على فى مصر بعد الثورة الجديدة التى نشبت فى أول مايو ١٨٠٥، وأطاحت بالوالى العثمانى أحمد خورشيد باشا، وأتت بمحمد على واليا على مصر بارادة الشعب فى ١٣ مايو ١٨٠٥ ، ثم جاء فرمان السلطان العثمانى فى ٩ يولية ١٨٠٥ بتثبيت محمد على فى الولاية ـ فقد أخذت السياسة الانجليزية تتآمر مع المماليك الموالين لانجلترا بزعامة محمد الألفى ، لطرد محمد على من الحكم ، وعودة حكومة المماليك فى القاهرة .

وفى الوقت نفسه فان موافقة الحكومة العثمانية على تعيين محمد على لم يكن معناه الاطمئنان اليه أو نية التسليم له بالحكم ، اذ لم تلبث أن أوفدت قبطان باشا فى أسطول عثمانى يقل ٢٫٥٠٠ من الجنود لمراقبة

الحالة والتدخل بما يثبت السلطة العثمانية . وقد وصل هذا الأسطول الى أبي قير يوم ١٧ يولية ١٨٠٥ . وفى أثناء وجود هذا الأسطول دبر المماليك هجوما على القاهرة فى ١٦ أغسطس ١٨٠٥ ، وهو يوم الاحتفال بوفاء النيل ، ولكن الهجوم فشل ، وأسفر عن قتل عدد كبير منهم . وعندئذ شعر قبطان باشا بأن الأمر قد توطد لمحمد على ، فرحل عن البلاد فى أكتوبر ١٨٠٥ .

على أن الدولة العثمانية ــ مع ذلك ــ حرصت على استبقاء الاسكندرية تحت سيطرتها المباشرة ، دون أن تسلم بها لمحمد على . وكانت الاسكندرية فى فترة النزاع على السلطة فى القاهرة بين المماليك والباشوات العثمانيين ، وبينهم وبين محمد على ، قد ظلت معقلا للنفوذ العثمانى . ذلك أن حاكم الاسكندرية طاهر بك كان هو وكيل أحمد خورشيد باشا الوالى العثمانى ، وفى يولية ١٨٨٥ حل محله أمين أغا فى حكومة الاسكندرية . وقد سارعت الحكومة العثمانية الى اصدار فرمان بتثبيته فى حكومة الاسكندرية . وقد استرعى هذا الاجراء نظر الوكيل القنصل الفرنسى دروفتى ، فكتب الى حكومته فى ١٦ أكتوبر ١٨٠٥ يقول :

« ان صدور هذا الأمر من القسطنطينية بتعيين أمين أغا حاكما للاسكندرية « برا وبحرا » ، يشير الى أن الباب العالى انما يريد التمسك بهذا المكان مستقلا

عن باشوية مصر » . وكتب مسيت Misset ، القنصل البريطاني ، الى حكومته في ٢٠ أكتوبر يقول ان « فرمانا وصل من الباب العالى الى حاكم هذه المدينة ، المستقل عن باشوية مصر ، بتعيينه في حكم الاسكندرية وحصونها ، ويأمره بمنع أى جند من دخولها ، فيما عدا أولئك الملتحقين بخدمته هو نفسه . واذا قبل محمد على هذا الوضع ، فلا خوف علينا من علاقاته مع فرنسا ، ولكن لا يجب علينا أن نتوقع أنه سوف يسلم بحرمانه من ميناء كهذا له أهميته الكبرى لحكومته ويدونه يتعذر عليه تنفيذ تحقيق استقلاله عن الباب العالى بمساعدة فرنسا .

وفي الواقع أن القنصل البريطاني ميسيت كان في ذلك الحين يسعى في الاسكندرية لتهيئة الرأى العام الاسكندرى لقبول فكرة احتلال الثغر بقوات بريطانية، وقد بذل محاولاته لكسب الشيخ محمد المسيرى الى جانبه ، نظرا لما عرف عنه من ميول فرنسية ، وقد كتب دروفتى الى الحكومة الفرنسية يخبرها بأن الهتافات تعالت في الاسكندرية يوم ٤ يونية ١٨٠٥ « بحياة السلطان جورج » ! وكان يهتف بها العربان ، الذين وزع عليهم الوكلاء الانجليز المال ، لتحريك الشعب للهتف بحياة ملك بريطانيا . كما أصاب ميسيت نجاحا في مساعيه مع « الشوربجى » رئيس قضاء الاسكندرية

سيدى قاسم غريانى . وعلاوة على ذلك فقد عمل ميسيت على استمالة السلطات الحاكمة فى الثغر وعلى رأسها أمين آغا حاكم الاسكندرية .

على أن الدولة العثمانية فى ذلك الحين كانت تعتمد لسلب الأنجليز كل ذريعة للتدخل ، عن طريق انهاء حكم محمد على فى مصر ، وتعيينه حاكما على سالونيك ، والاتفاق مع محمد الألفى لعودة حكومة المماليك الى مصر ، واسناد ولاية مصر الى باشا جديد يكون آلة فى يد المماليك كما كان الحال قبل الحملة الفرنسية ، وهو موسى باشا ، وتسمح للمماليك بشراء الرقيق وجلبهم الى مصر بعد أن منعوا من ذلك منذ ثلاث سنوات ، وفرض هذا الحل بالقوة .

وهذا هو الذى تم فى ٢٤ يونية حيث أنفذت الحكومة العثمانية أسطولا على رأسه القبطان صالح باشا ، يتألف من أربع بوارج من ذوات الخمسين مدفعا ، وثلاث فرقاطات وثلاث قراويت ، عدا سفينة القيادة ، وهى الفرقاطة جوستيس Justice وعليها القبطان صالح باشا . جاء فى النشرة التى صدرت فى القسطنطينية فى ٢٦ يونية أن « الغرض من ذهاب القبطان باشا هو الوصول الى الاسكندرية والبقاء بها حتى يتنفذ الاتفاق فى صالح المماليك » . وقد وصل القبطان باشا الى الاسكندرية فى ٢٧ يونية ١٨٠٦ ،

وفى ١٩ يولية وصل موسى باشا ، وأرسل قبطان باشا إلى محمد على يبلغه فرمان النقل والتغيير ، ويأمره بالذهاب الى سالونيك مقر ولايته الجديدة ٠

على أن الخطة فشلت، فقد استعد محمد على للحرب، واستند الى المشايخ والعلماء فى التمسك بموقعه ، فى الوقت الذى أخذ يبذل المساعي لدى قبطان باشا وفى القسطنطينية بالرشاوى ، وانتهى الأمر بالتوصل الى اتفاق يقضى بتثبيت محمد على فى الولاية فى مقابل أن يؤدى الى الباب العالى ٤٠٠٠ كيس ، وأن يجعل ابنه ابراهيم رهينة بالاستانة حتى أداء هذا المبلغ ، وبالفعل وصل قرار الباب العالى بتثبيت محمد على فى الولاية يوم ٥ أكتوبر ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ بارح الأسطول العثمانى الاسكندرية ٠

على أنه يلاحظ فى الفرمان الجديد بتثبيت محمد على فى الولاية حرص الباب العالى على استمرار الاسكندرية منفصلة فى شئونها عن باشوية محمد على ، وخضوعها فى ادارتها لاشراف الباب العالى رأسا ، ثم ضبط ايرادات جمركها ، بالاضافة الى جمركى رشيد ودمياط ، لحساب القسطنطينية ٠ أى بقاء الاشراف على أهم شئون الادارة بالاسكندرية فى يد الباب العالى ٠

على أن ذلك لم ينف حقيقة أن محمد على قد أصبح مثبتا فى حكم مصر مع ميوله الفرنسية ، الأمر الذى

يهدد مصلحة انجلترا ، خصوصا بعد تحول الباب العالى الى فرنسا بعد الانتصارات التى أحرزها نابليون فى النمسا ، واعترافه بلقب نابليون الامبراطورى رسميا، وترحيبه ترحيبا كبيرا بالسفير الفرنسى فى القسطنطينية سيباستيانى فى أغسطس ١٨٠٦ ، وتحرج الأمور بين تركيا وروسيا لدرجة تهدد بقيام الحرب بين الدولتين وهو ما أصبح متوقعا فى سبتمبر ١٨٠٦ ، وتوهم الانجليز أن مصر ستكون ثمن التفاهم الفرنسى التركى ٠

وعلى ذلك لم يكد يستقر الأمر فى يد محمد على ، ويبارح الأسطول العثمانى الاسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ ، حتى أصدرت الحكومة الانجليزية تعليماتها الى قواتها فى صقلية لارسال حملة الى المياه المصرية لتنفيذ مشروع احتلال الاسكندرية ، لمنع الفرنسيين من وضع أقدامهم مرة أخرى فى مصر ، ولتمكين القوات الانجليزية أثناء وجودها بالاسكندرية من اعطاء تأييدها وحمايتها للقوى السياسية الموالية لها ، ويقصد بها المماليك من جماعة الألفى ٠ وقد عين لقيادة هذه الحملة الميجور جنرال ماكنزى فريزر Mackenzie Fraser وكانت الأوامر التى صدرت اليه صريحة ، وهى أن الغرض من الحملة انما هو احتلال الاسكندرية فقط لمنع نزول الفرنسيين اليها ، وليس الغرض منها فتح مصر ٠ وقد صدرت الأوامر بابحار الحملة فى ١٨

واختص العمـــال المشتغلين بأعمال التحصـينات بأكبر قدر ٠ وفى اوائل يونية شحت الأطعمة لدرجة اضطرت ميتـو الى اخـــراج الأفواه العاطلة من الاسـكندرية ، وابعادهم الى الرحمانية ٠ ومنذ نهاية شهر مايو بدأت الامراض الناجمة عن المجـاعة تفتك بالآهالى وبجنـد مينو ، وامتنع ورود الأقوات نهائيا ، فانعدم اللحم من الأسواق ، وصار الخبز يوزع على الجند والأهالى مخلوطا بالارز ، ثم اصبح الأرز يوزع وحده ، ثم اختفى الأرز بدوره ، وصار مستشفى الاسكندرية يغص بالمرضى ٠

ثم أخذ الموقف يزداد سوءا فى الاسكندرية عندما سلمت القاهرة للانجليز ، الذى كانوا فى ذلك الحين قد تعزز جيشـهم بمجيء جيش عثمانى برا من جنـوب سوريا بقيادة يوسف باشا ضيا ، يبلغ عـدده عشرين ألفا ، زحف من العريش وانتصر على الفرنسيين يـوم ١٦ مايو فى منتصف الطريق بين الخانكة وبلبيس فى معركة الزوامل، ثم زحف الجيشان الانجليزى والعثمانى على القاهرة ، واستسلم الجيش الفرنسى فى القاهرة باتفاقية الجلاء فى ٢٧ يونية ١٨٠١ ، وأبحرت بهـم السفن الى فرنسا فى أوائل شهر أغسطس ١٨٠١ ٠

فقـد قرر الانجليز بقيـادة الجنرال هاتشينسون تشديد الحصار على الاسكندرية عن طريق نقل حـوالى خمسـة آلاف جنـدى بقيادة الجنرال كوت Coot

الى غرب الاسكندرية لاحتلال ساحل العجمى وقلعة العجمى ، لارغام الفرنسيين على توزيع قواتهم بين الشرق والغرب · وتم فى مساء يوم ١٦ أغسطس ١٨٠١ نقل أربعة آلاف جندى مع رجال المدفعية والمهندسين على سفن المدفعية التركية الصغيرة التى دخلت بحيرة مريوط منذ ١٣ أغسطس ، وتولى الجنرال كوث القيادة العامة ، وفى الوقت نفسه كانت احدى البوارج الانجليزية قد تمكنت من الوقوف قريبا من رأس التين وبدأت فى قذف الاسكندرية بقنابلها · وفى ١٨ أغسطس بدأ هجوم الانجليز على حصن قلعة العجمى (أو حصن مرابط Marabou كما يسميها الفرنسيون) واستطاعوا أن يدخلوا الى ميناء الاسكندرية عددا كبيرا من الفرقاطات والسفن والقراويت والأباريق واتخذت موقعها قبالة الفرقاطات الفرنسية التى اضطرت الى الاحتماء داخل الميناء ، واعتقد الفرنسيون أن الانجليز يستهدفون انزال الجند عند رأس التين كتوطئة للهجوم على الاسكندرية ، فعمدوا الى اغراق عدد من سفنهم واتخذوا منها جسرا وضعوا فوقه بطاريات مدافعهم ، واستمر القتال حتى يوم ٢٥ أغسطس حتى أذعن مينو لرغبة قواده فى الاستسلام ·

وعلى هذا النحو دارت المفاوضات فى ظل أوضاع سيئة للقوات الفرنسية ، فقد كانت نسبتها الى القوات المحاصرة كنسبة واحد الى عشرة ، وكان للقوات المحاصرة

أربعون بارجة مخصصة للحصار ، فضلا عن أن الأمراض كانت قد فتكت بالحامية الفرنسية ، ونفدت الأقوات من المدينة وانقطع ورود المياه العذبة اليها · وفي يوم ٣١ أغسطس ١٨٠١ تم الاتفاق على شروط الجلاء عن الاسكندرية بين كل من اللورد كيث والجنرال هاتشينسون وحسين قبطان باشا والجنرال مينو ، وتقضى بجلاء القوات الفرنسية عن الاسكندرية وقلاعها وملحقاتها في عشرة أيام ، وتسليم السفن الفرنسية ، ونقل الجنود الفرنسيين على سفن الحلفاء بأسلحتهم وأمتعتهم وعشرة مدافع ، مع تسليم باقى المدافع والذخيرة ، وأن يسلم أعضاء المجمع العلمي ولجنة العلوم والفنون جميع الآثار والمجاميع والخرائط والرسوم والمخطوطات التى جمعوها في مصر ·

على أن العلماء الفرنسيين رفضوا تسليم كنوزهم العلمية وهددوا باحراقها ، فسمح لهم باصطحابها معهم ، وفي خلال شهر سبتمبر ١٨٠١ أخذت السفن المقلة للجنود الفرنسيين تقلع من الاسكندرية قاصدة فرنسا ، وكان عددهم ٧٢٠٠ من الجنود ، و ١٥٠٠ من البحارة ، و ١٤٠٠ من المرضى ، و ٦٨٠ من المدنيين ، وكان آخر من غادر الاسكندرية الجنرال مينو الذى أصيب بالطاعون في أواخر أيامه فغادر الاسكندرية يوم ١ أكتوبر ١٨٠١ · وبهذا الجلاء انتهت صفحة الحملة الفرنسية فى الاسكندرية خاصة ، وفي مصر عامة ·

الاسكندرية في عهد الاحتلال الانجليزي الأول :

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت السلطة في مصر ثلاث قوى هي : العثمانيون ، والانجليز ، والمماليك • وبالنسبة للعثمانيين كان يوجد في ميناء أبي قير أسطول عثماني بقيادة حسين قبطان باشا ، يتكون من نحو ستة آلاف جندي يحتلون المواقع القريبة من مرمى الأسطول • أما في ميناء الاسكندرية فكان يوجد أسطول انجليزي بقيادة الجنرال هاتشنسون • وسرعان ما نشب الصراع بين العثمانيين والمماليك بعد أن انتهز العثمانيون الفرصة لاحكام سيطرتهم على مصر ، واضطر المماليك الى طلب مساعدة الانجليز في هذا الصراع • وقد شهدت الاسكندرية جانبا من هذا الصراع حين دبر حسين قبطان باشا مؤامرة للمماليك في أوائل أكتوبر ١٨٠١ ، استدعاهم بواسطتها الى زيارته بمعسكره في أبي قير للاتفاق معهم على تخويلهم سلطة الحكم ، حيث كانت تنتظرهم مذبحة قتل فيها عدد كبير منهم وسيق الباقون الى بارجة قبطان باشا واعتقلوا بها • وقد أثار هذا الحادث غضب الجنرال هاتشينسون وكادت الحرب تنشب بين الانجليز والعثمانيين ، فقد طرد الانجليز العثمانيين من الاسكندرية ، وأغلقوا أبواب الأبراج ، وتوجهت قوة انجليزية لحصار قبطان باشا من البر والبحر • وانتهت الأزمة بتسليم الأسرى المماليك الى الانجليز •

وفي الفترة التاليـة تقلص الوجود العسكرى الانجليزى في مصر حتى انحصر في الاسكندرية تحت قيادة الجنرال كافان Cavan أولا ثم الجنرال ستوارت Stewart ثانيا . ومع أنه تم في ٢٧ مارس ١٨٠٢ ابرام الصلح المعروف بصلح اميان Amiens بين كل من فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا ، ومن شروطه جلاء الانجليز عن مصر، الا أن الانجليز أخذوا يماطلون في الجـلاء ، الأمر الذى اضطر فرنسا الى ارسال الكولونيل سباستيانى Sebastiani الى الاسكندرية خلال شهر أكتوبر ١٨٠٢ لمطالبة الانجليز بالجلاء . وأخذت تلح في هذا الجلاء حتى قررت انجلترا سحب قواتها من الاسكندرية . وعندما أبلغ الجنرال ستوارت زعماء المماليك أوامر حكومته بجلاء القوات الانجليزية، وقع هذا الخبر عليهم وقع الصاعقة ، لأنهم كانوا ينظرون للانجليز كحماة لهم .

وفي يوم ١٤ مارس ١٨٠٣ كان الجنرال ستوارت قد أتم استعداداته للجلاء ، ثم سلم قلاع الاسكندرية وأبراجها الى خورشيد باشا محافظ المدينة يوم ١٤ مارس ١٨٠٣ ، وأقلع الأسطول الانجليزى يوم ١٦ مارس يقل الجنود الانجليز وعددهم ٤٠٠ر٤ جندى . وبذلك انتهى الاحتلال الانجليزى الأول .

الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية :

كان بعــد جـلاء الانجليز عن مصر أن أصــبح العثمانيون هم أصحاب الحول والطول فىالاسكندرية - وفي الوقت نفسه تجدد القتال بين العثمانيين والمماليك، وثارت الفتن فى الجيش العثماني نفسه ، مما ترتب عليه فرار خسرو باشا ، الوالى العثمانى ، وتعيين طاهر باشا قائمقاما له ، ثم قتل هذا الأخير على يد الانكشارية من جنوده ، وقامت الدولة العثمانية بتعيين على باشـا الجزائرى واليا ، وجاء هذا الى الاسكندرية فى أوائل يوليـة ١٨٠٣ بعـد أن استولى المـماليك عـلى بقية البلاد فيما عدا رشيد • ثم سقطت رشيد فى أيديهم فى أغسطس ١٨٠٣ ، فأصبحت الاسكندرية هى المدينـة الوحيدة فى يد العثمانيين ، كما كان الحال فى المرحلة الأخيرة من الحملة الفرنسية ، وأصبح عليها أن تخوض ظروفا قاسية أخرى •

ذلك أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن أخذ يعمل على تحصين الاسكندرية حتى لا تقع فى يد المماليك - وقد قادته سياسـته الحمقـاء الى ارتكاب ما ارتكبـه الجنرال هاتشينسون عند محـاصرته الفرنسيين بقيادة مينو فى الاسكندرية ، فقطع سد أبى قير ، دون أن يعى أنه بذلك يحرم نفسه من المياه العذبة - وكان المهندس

السويدى « رودون » Rhodon قد قام باصلاح السد بعد جلاء الفرنسيين بتكليف من الباب العالى .

وقد كان لقطع سد أبى قير على يد على باشا الجزائرلى نفس الأثر التخريبى لقطعه على يد هاتشيتسون ، فان مياه البحر المتوسط طغت على شمال البحيرة ، وخربت كثيراً من القرى والأراضى ، وأتلفت ترعة الاسكندرية (المحمودية حاليـا) التى كانت تروى الثغر بالميـاه العذبة ، فانقطعت الميـاه عن الاسـكندرية ، وتعطلت المواصلات اليها، فاشتد الضيق بأهلها ، واضطر الكثيرون الى النزوح عنها والهجرة منها ، وبعضهم ـ كما يقـول الجبرتى ـ غادر مصر كلية ، فسافر الى أزمير ، وبعضهم الى قبرص ورودس . ولم يبق بالاسـكندرية سـوى الفقراء والعجزة !

وفى نفس الوقت ، كان حـكم الجزائرلى باشا فى الاسكندرية حافلا بالجور والظلم ، ومصادرات الناس فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق ، هذا الى جانب اهانته لأهل العلم ، حتى انه سجن الشيخ محمد المسيرى على قدره وعلمه . وفى الـوقت نفسـه ، وفيما يتعلق بالأجانب فى الاسكندرية ، فانه لم يحترم حقوقهم التى خولتها لهـم معـاهدات الامتيـازات ، وأهان أعلامهم وشـاراتهم الموضوعة على متاجرهم ومنازلهم ، وكان جنوده ينتهزون

فرصة خروجهم للتدريب اليومي في ساحة المنشية ، فيمرون بحي الافرنج ، ويطلقون الرصاص على المساكن ووكالات القناصل ، حتى ضج هؤلاء بالشكوى، وقرروا الانسحاب جميعا الى السفن الأجنبية الراسية بالاسكندرية ، بينما انسحب القناصل أنفسهم الى سفينة حسين قبطان باشا قائد الأسطول العثماني ، الذى كان يساند خسرو باشا المعتقل بالقاهرة • ولم يقبل هؤلاء النزول الى الاسكندرية واستئناف حياتهم العادية الا بعد أن وعد على باشا الجزائرلي باحترام معاهدات الامتيازات •

على أن على باشا الجزائرلي لم يلبث أن غادر الاسكندرية في ٢٦ ديسمبر ١٨٠٣ في قوة تبلغ ٢٥٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان بدعوة من المماليك ـ الذين تظاهروا بالرغبة في الوفاق ، لتولى الولاية في القاهرة ، وكان غرضهم القضاء عليه ، والاستيلاء على الاسكندرية • ومع أنهم أفلحوا في قتله عند القرين ، بين بلبيس والصالحية في ٢٦ يناير ١٨٠٤ ، الا أنهم لم يفلحوا في الاستيلاء على الاسكندرية •

وقد حاولوا تكرار نفس الحيلة التى حاكوها لعلى الجزائرلي ، وذلك بدعوة أحمد خورشيد باشا ، الذى خلف على باشا في حكم الاسكندرية ، الى القاهرة لتولى

باشويتها ، وكان غرضهم خضوع الاسكندرية لباشوية القاهرة ، ولما كانت باشوية القاهرة بدورها خاضعة لهم ، فسوف يتمكنون من تعيين حاكم للاسكندرية يكون طوع ارادتهم ٠

وقد لعبت السياسة الانجليزية دورا فى محاولة اقناع خورشيد باشا بذلك ، نظرا لأن هذه السياسة كان يهمها أن تكون الاسكندرية في يد البكوات المماليك، الذين كانت تعتقد أن فى وسعهم الدفاع عن الاسكندرية ضد أى غزو فرنسى متوقع فى ذلك الحين ٠ على أن خورشيد باشا عندما أدرك ان غرض المماليك الاستيلاء على الاسكندرية واخضاعها لسلطة حكومتهم فىالقاهرة ، رفض أن يكون تسليم الاسكندرية ثمنا لهذه الباشوية٠ وقد أقر الباب العالى خورشيد باشا حاكما للاسكندرية، وأمره ألا يقبل دخول المماليك اليها ، وأن يحافظ على الاسكندرية ويحول دون دخول أية قوات اليها سوى تلك التى ترسلها له حكومته برا وبحرا ٠

على أن خطر المماليك لم يلبث آن زال ، بسقوط حكومتهم فى القاهرة على يد الثورة الشعبية التىانفجرت فى القاهرة بين ٨ و ١٣ مارس ١٨٠٤ ضدهم ، بعد تزايد مظالمهم على الشعب واعتداءاتهم عليه ، وهى الثورة التى أبرزت دور محمد على ٠ فعندما أراد عثمان بك البرديسى ، الذى أصبح صاحب السلطة فى القاهرة

بعد تخلصه من منافسه محمد بك الألفى ، أن يفرض ضريبة جديدة على جميع الأهالى بلا استثناء ، وكلف عمال الحكومة بجبايتها من كل فرد من أفراد القاهرة من ملاك ومستأجرين ، لكى يتمكن من دفع مرتبات جنوده ، ثار القاهريون ، واشترك معهم محمد على ، قائد الجنود الألبانيين ، فأمر جنوده بمهاجمة المماليك الموجودين بالقاهرة فى يوم ١١ مارس ١٨٠٤ ، ففروا، وعلى رأسهم زعيمهم عثمان بك البرديسى وابراهيم بك، وسقطت قلعة الجبل فى يد محمد على ، وقتل من المماليك وجنودهم فى ذلك اليوم نحو ثلثمائة وخمسين . وانقض الشعب فى رشيد ودمياط وسائر عواصم المديريات على الحكام المماليك ، فهربوا الى الصعيد ، وبذلك دالت دولتهم .

وقد قع الاختيار بعد ذلك على أحمد خورشيد باشا حاكم الاسكندرية ، ليكون واليا على مصر ، بناء على اتفاق بينه وبين محمد على ، وأطلقت طابيات الاسكندرية مدافعها لاعلان ولاية خورشيد على مصر ، وغادر الاسكندرية الى القاهرة يوم ١٦ مارس ليصلها فى ٢٦ مارس ، وترك وكيله طاهر بك حاكما عليها ، وبذلك أصبحت الاسكندرية تحت حكم باشوية القاهرة ، وتثبت ذلك عندما وصل خورشيد باشا فرمان تثبيت الولاية فى ٢٨ ابريل ١٨٠٤ .

على أن وقوع أحمد خورشيد باشا تحت سيطرة محمد على ، الذى كان يميل الى فرنسا ، لم يلبث أن دعا السياسة الانجليزية الى التفكير فى مشروع يقضى باحتلال الاسكندرية لمنع وقوع غزو فرنسى محتمل على مصر، وأصدرت تعليماتها الى الجنرال السير جيمس كريج James Craig فى البحر المتوسط فى ٢٩ مارس ١٨٠٥ بأنه فى حالة قيام الفرنسيين بأى عمل ضد مصر ، يصبح احتلال الاسكندرية أمرا ضروريا ٠

ولم يلبث أن زاد خوف السياسة الانجليزية من وقوع غزو فرنسى عندما استقر الأمر لمحمد على فى مصر بعد الثورة الجديدة التى نشبت فى أول مايو ١٨٠٥، وأطاحت بالوالى العثمانى أحمد خورشيد باشا، وأتت بمحمد على واليا على مصر بارادة الشعب فى ١٣ مايو ١٨٠٥ ، ثم جاء فرمان السلطان العثمانى فى ٩ يولية ١٨٠٥ بتثبيت محمد على فى الولاية ـ فقد أخذت السياسة الانجليزية تتآمر مع المماليك الموالين لانجلترا بزعامة محمد الألفى ، لطرد محمد على من الحكم ، وعودة حكومة المماليك فى القاهرة ٠

وفى الوقت نفسه فان موافقة الحكومة العثمانية على تعيين محمد على لم يكن معناه الاطمئنان اليه أو نية التسليم له بالحكم ، اذ لم تلبث أن أوفدت قبطان باشا فى أسطول عثمانى يقل ٢٫٥٠٠ من الجنود لمراقبة

الحالة والتدخل بما يثبت السلطة العثمانية . وقد وصل هذا الأسطول الى أبى قير يوم ١٧ يولية ١٨٠٥ . وفى أثناء وجود هذا الأسطول دبر المماليك هجوما على القاهرة فى ١٦ أغسطس ١٨٠٥ ، وهو يوم الاحتفال بوفاء النيل ، ولكن الهجوم فشل ، وأسفر عن قتل عدد كبير منهم . وعندئذ شعر قبطان باشا بأن الأمر قد توطد لمحمد على ، فرحل عن البلاد فى أكتوبر ١٨٠٥ .

على أن الدولة العثمانية ــ مع ذلك ــ حرصت على استبقاء الاسكندرية تحت سيطرتها المباشرة ، دون أن تسلم بها لمحمد على . وكانت الاسكندرية فى فترة النزاع على السلطة فى القاهرة بين المماليك والباشوات العثمانيين ، وبينهم وبين محمد على ، قد ظلت معقلا للنفوذ العثمانى . ذلك أن حاكم الاسكندرية طاهر بك كان هو وكيل أحمد خورشيد باشا الوالى العثمانى، وفى يولية ١٨٨٥ حل محله أمين أغا فى حكومةالاسكندرية . وقد سارعت الحكومة العثمانية الى اصدار فرمان بتثبيته فى حكومة الاسكندرية . وقد استرعى هذا الاجراء نظر الوكيل القنصل الفرنسى دروفتى ، فكتب الى حكومته فى ١٦ أكتوبر ١٨٠٥ يقول :

« ان صدور هذا الأمر من القسطنطينية بتعيين أمين أغا حاكما للاسكندرية « برا وبحرا » ، يشير الى أن الباب العالى انما يريد التمسك بهذا المكان مستقلا

عن باشوية مصر » • وكتب مسيت Misset ، القنصل البريطانى ، الى حكومته فى ٢٠ أكتوبر يقول ان « فرمانا وصل من الباب العالى الى حاكم هذه المدينة ، المستقل عن باشوية مصر ، بتعيينه فى حكم الاسكندرية وحصونها ، ويأمره بمنع أى جند من دخولها ، فيما عدا أولئك الملتحقين بخدمته هو نفسه • واذا قبل محمد على هذا الوضع ، فلا خوف علينا من علاقاته مع فرنسا ، ولكن لا يجب علينا أن نتوقع أنه سوف يسلم بحرمانه من ميناء كهذا له أهميته الكبرى لحكومته وبدونه يتعذر عليه تنفيذ تحقيق استقلاله عن الباب العالى بمساعدة فرنسا •

وفى الواقع أن القنصل البريطانى ميسيت كان فى ذلك الحين يسعى فى الاسكندرية لتهيئة الرأى العام الاسكندرى لقبول فكرة احتلال الثغر بقوات بريطانية، وقد بذل محاولاته لكسب الشيخ محمد المسيرى الى جانبه ، نظرا لما عرف عنه من ميول فرنسية ، وقد كتب دروفتى الى الحكومة الفرنسية يخبرها بأن الهتافات تعالت فى الاسكندرية يوم ٤ يونية ١٨٠٥ « بحياة السلطان جورج » ! وكان يهتف بها العربان ، الذين وزع عليهم الوكلاء الانجليز المال ، لتحريك الشعب للهتف بحياة ملك بريطانيا • كما أصاب ميسيت نجاحا فى مساعيه مع « الشوربجى » رئيس قضاء الاسكندرية

سيدى قاسم غرياني • وعلاوة على ذلك فقد عمل ميسيت على استمالة السلطات الحاكمة فى الثغر وعلى رأسها أمين آغا حاكم الاسكندرية •

على أن الدولة العثمانية في ذلك الحين كانت تستعد لسلب الانجليز كل ذريعة للتدخل ، عن طريق انهاء حكم محمد على في مصر ، وتعيينه حاكما على سالونيك ، والاتفاق مع محمد الألفى لعودة حكومة المماليك الى مصر ، واسناد ولاية مصر الى باشا جديد يكون آلة في يد المماليك كما كان الحال قبل الحملة الفرنسية ، وهو موسى باشا ، وتسمح للمماليك بشراء الرقيق وجلبهم الى مصر بعد أن منعوا من ذلك منذ ثلاث سنوات ، وفرض هذا الحل بالقوة •

وهذا هو الذى تم فى ٢٤ يونية حيث أنفذت الحكومة العثمانية أسطولا على رأسه القبطان صالح باشا ، يتألف من أربع بوارج من ذوات الخمسين مدفعا، وثلاث فرقاطات وثلاث قراويت ، عدا سفينة القيادة ، وهى الفرقاطة جوستيس Justice وعليها القبطان صالح باشا • جاء فى النشرة التى صدرت فى القسطنطينية فى ٢٦ يونية أن « الغرض من ذهاب القبطان باشا هو الوصول الى الاسكندرية والبقاء بها حتى يتنفذ الاتفاق فى صالح المماليك » • وقد وصل القبطان باشا الى الاسكندرية فى ٢٧ يونية ١٨٠٦ ،

وفى ١٩ يولية وصل موسى باشا ، وأرسل قبطان باشا الى محمد على يبلغه فرمان النقل والتغيير ، ويأمره بالذهاب الى سالونيك مقر ولايته الجديدة ٠

على أن الخطة فشلت، فقد استعد محمد على للحرب، واستند الى المشايخ والعلماء فى التمسك بموقعه ، فى الوقت الذى أخذ يبذل المساعى لدى قبطان باشا وفى القسطنطينية بالرشاوى ، وانتهى الأمر بالتوصل الى اتفاق يقضى بتثبيت محمد على فى الولاية فى مقابل أن يؤدى الى الباب العالى ٤٠٠٠ كيس ، وأن يجعل ابنه ابراهيم رهينة بالاستانة حتى أداء هذا المبلغ ، وبالفعل وصل قرار الباب العالى بتثبيت محمد على فى الولاية يوم ٥ أكتوبر ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ بارح الأسطول العثمانى الاسكندرية ٠

على أنه يلاحظ فى الفرمان الجديد بتثبيت محمد على فى الولاية حرص الباب العالى على استمرار الاسكندرية منفصلة فى شئونها عن باشوية محمد على ، وخضوعها فى ادارتها لاشراف الباب العالى رأسا ، ثم ضبط ايرادات جمركها ، بالاضافة الى جمركى رشيد ودمياط ، لحساب القسطنطينية ٠ أى بقاء الاشراف على أهم شئون الادارة بالاسكندرية فى يد الباب العالى ٠

على أن ذلك لم ينف حقيقة أن محمد على قد أصبح مثبتا فى حكم مصر مع ميوله الفرنسية ، الأمر الذى

يهدد مصلحة انجلترا ، خصوصا بعد تحول الباب العالى الى فرنسا بعد الانتصارات التى أحرزها نابليون فى النمسا ، واعترافه بلقب نابليون الامبراطورى رسميا، وترحيبه ترحيبا كبيرا بالسفير الفرنسى فى القسطنطينية سيباستيانى فى أغسطس ١٨٠٦ ، وتحرج الأمور بين تركيا وروسيا لدرجة تهدد بقيام الحرب بين الدولتين وهو ما أصبح متوقعا فى سبتمبر ١٨٠٦ ، وتوهم الانجليز أن مصر ستكون ثمن التفاهم الفرنسى التركى .

وعلى ذلك لم يكد يستقر الأمر فى يد محمد على ، ويبارح الأسطول العثمانى الاسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ ، حتى أصدرت الحكومة الانجليزية تعليماتها الى قواتها فى صقلية لارسال حملة الى المياه المصرية لتنفيذ مشروع احتلال الاسكندرية ، لمنع الفرنسيين من وضع أقدامهم مرة أخرى فى مصر ، ولتمكين القوات الانجليزية أثناء وجودها بالاسكندرية من اعطاء تأييدها وحمايتها للقوى السياسية الموالية لها ، ويقصد بها المماليك من جماعة الألفى . وقد عين لقيادة هذه الحملة الميجور جنرال ماكنزى فريزر Mackenzie Fraser وكانت الأوامر التى صدرت اليه صريحة ، وهى أن الغرض من الحملة انما هو احتلال الاسكندرية فقط لمنع نزول الفرنسيين اليها ، وليس الغرض منها فتح مصر . وقد صدرت الأوامر بابحار الحملة فى ١٨

فبراير ، وأقلعت من مسـسـينا فى ٦ مارس ١٨٠٧ ، ووصلت الى مياه الاسـكندرية بعـد ظهر ١٦ مارس ١٨٠٧ .

الاسكندرية وحملة فريزر :

وصف القنصل الانجليزى ميسيت الاسكندرية يوم ١٤ مارس ١٨٠٧ ، أى قبـل وصـول حملة فـريزر بيومين ، بأنها ذات حامية على درجة كبيرة من الضعف ، ولا تبلغ ثلاثمائة رجل . وقال انه يمـكن للاسـطول الانجليزى أن يجد فى أبى قير مكانا ، ويستطيع الجنود النزول الى البر دون مقاومة ، لأن القلعة فى حالة تهدم وليس بها سوى عشرين من الجنـد فحسب ، ويمـكن انزال عدد من ألف ومائتى جندى الى ألف وخمسمائة عند مرابط (العجمى) ، ويوجد بينها وبين الاسكندرية خط دفاع ممتد من الميناء حتى بحيرة مريوط يتألف من خنـدق وسياج من الأوتاد (متاريس) وتعززه قلعـة الحمامات من جهـة اليسـار ، وبطارية من مدفعين فى الوسط ، وبطارية من مدفع واحد من جهة اليمين .

وتحدث عن ثمرة نشاطه مع مشايخ الاسكندرية ، ونجاح مساعيه لجذب الشيخ المسيرى ، فقال انه يذكر بارتياح أن الشيخ محمد المسيرى ، وهو رجـل متمتع بنفوذ لا حد له على سكان المدينة ، قد أرسل الى فى هذا الصباح (٢٥ مارس) يجدد تأكيداته التى أعطاها لى

مرارا بأنه اذا حدث وغزا البريطانيون مصر ، فان أهل الاسكندرية سوف يتلقونهم بصدور مفتوحة ، وانهم أبعد ما يكونون عن مقاومتهم ٠

كان حاكم المدينة هو أمين آغا ، ولم يكن يظهر ميلا للاعتراف بسلطان محمد على بعد أن وصل الى الولاية رغم ارادة الباب العالى ، وكان يخشى أن تسقط المدينة فى قبضة الأرنؤود (الألبانيين) فينهبونها ويعيثون فيها فسادا ٠ وكانت الطبقة ذات النفوذ فى الاسكندرية من التجار الذين لا يعنيهم سوى ضمان مصالحهم التجارية وأمنهم على أموالهم وأشخاصهم ٠ ولم يكونوا يعرفون عن حكومة محمد على فى القاهرة الا ما صار يبلغهم عنها ويذاع فى المدينة من قصص عن اعتداءات الجند على القاهريين ، والمذابح المتكررة التى وقعت بالقاهرة خلال العامين السابقين ٠ ولذلك آثر الاسكندريون أن يظلوا فى شبه عزلة عن سائر أهل البلاد ، وصار لا يربطهم بهم أى شعور من المصلحة المشتركة ، بل ولذلك فانهم كتبوا الى القسطنطينية بايعاز من « ميسيت » يطلبون منها ابقاء مدينتهم خارجة عن نطاق باشوية القاهرة ، وهو ما استجابت له القسطنطينية على الفور ٠

ومن الطبيعى فى مدينة كالاسكندرية لا تخضع لباشوية القاهرة ، ولا يشعر أهلها بوجود روابط بينهم وبين سائر مواطنيهم أن يكون خوفهم الأول من الأرناؤود

ومحمد على ، وأن يعتقدوا بأنه اذا حدث الغزو الأجنبى وتزل الغزاة بمدينتهم فان ذلك يكون من مصلحتهم يعود عليهم بالنفع المحقق من حيث زيادة نشاط الحركة التجارية ٠

وهذا يفسر موقفهم من الحملة الانجليزية ، فعندما صدرت أوامر السلطان الى محمد على بمقاومة الانجليز اذا حاولوا النزول في البلاد ، أرسل طائفة من الجند الأرنؤود بقيادة سليمان أغا بطريق النيل الى الاسكندرية من أجل الاشتراك فى الدفاع عنها ــ وقد وصل سليمان أغا بجنده الى أبى قير فى ١٤ مارس استعدادا لدخول الاسكندرية ٠ ولكن الأهالى قاوموا مجىء هذا الجند مقاومة شديدة ، وتصوروا أن المدينة اذا دخلها الأرنؤود فسوف تسود فيها الفوضى ، وتنهب متاجرها وأموالها ولا يأمن أحد من سكانها على حياته ، وهرعوا الى تسليح أنفسهم لمنع دخول الأرنؤود الى مدينتهم بالقوة ٠ وتزعم حركة المقاومة الشيخ محمد المسيرى ، والتف حوله أعيان الثغر ، وذهب بهم الى أمين أغا يطالبه بتأمين مصالحهم ٠ وقد أظهر أمين أغا عزمه على مقاومة أوامر محمد على بالقوة ٠ وكتب « دروفتى » يقول ان سكان الاسكندرية جميعهم قد تسلحوا فى ليل ١٤ مارس لدفع الأرنؤود اذا أحضروا ، وان أمين أغا يؤكد انتفاء الحاجة الى هؤلاء الجنود ، حيث أن أهل الاسكندرية فى وسعهم وحدهم الدفاع عنها ٠ وعلى

ذلك فما ان وصلت مراكب الأرنؤود الى الميناء القديم فى صبيحة يوم ١٥ مارس ، حتى وجد هؤلاء أبواب المدينة مغلقة ، والأسوار محصنة ، والأهالى على قدم واحدة لردهم بالقوة • فاضطرت القوة للانسحاب الى رشيد ، وأبلغ أمين والمشايخ حكومة القاهرة بأن فيهم الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر ، لأنهم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم ألوان الفساد والافساد !

على أنه فى اليوم التالى ١٦ مارس كانت السفينة الانجليزية الحربية « ويزارد » Wizard تصل الى الاسكندرية ومعها سفينة آخرى ، ونزل منها ضابطان أبلغا أمين أغا أن العلاقات قد قطعت بين انجلترا وتركيا ، وأن أسطولا انجليزيا وصل ، وطالبا بتسليم الاسكندرية طوعا • ولكن أمين أغا لم يسعه فى هذه المقابلة الرسمية الا أن يتمسك بما لديه من أوامر الباب العالى وهى أنه لا يمكنهم من النزول الا بمرسوم سلطانى • ثم طلب استشارة المشايخ ، وقد اشترك فى الاجتماع مع المشايخ الضابطان الانجليزيان ، ولم يسفر الاجتماع عن قرار حاسم بالمقاومة •

وعلى هذا النحو استطاع فريزر انزال قسم من جنوده الى البر فى مساء ١٧ مارس دون مقاومة ، وذلك بالرغم من خطورة هذه العملية بسبب اشتداد الأنواء ، وعجز الانجليز عن ادخال سفينة قيادتهم (تيجر Tiger

في الميناء القديم نتيجة لتسرب المياه اليها ، ورسو بقية قطع الأسطول على مسافة ميلين من الشاطىء وحتى انه كان فى استطاعة الأسطول العثماني الضعيف ، الرابض على مسافة تقل عن أربعة أميال فحسب ، تحطيم السفن الانجليزية لو اشتبك معها في معركة وقتئذ • ولـــكن مغامرة انزال الجنود البريطانيين الى البر مرت بسلام ، وانقضى ليـــــل ١٧ مارس دون أن يلقى الانجليز أية مقاومة •

ثم بدأ فى اليوم التالى الزحف ، فاقتحمت القـــوات الانجليزية ، التى نزلت فى مكان يبعد أميالا قليلة الى الشرق من مرابط (العجمى) ، خطا من المتـــاريس ممتدا من قلعة الحمامات (بين مرابط والميناء القديمة) الى بحيرة مريوط ، تعززها ثلاث بطاريات من المدفعية الخفيفة ، عدا بطاريات قلعة الحمامات وهى من ثلاثة عشر مدفعا ، واستطاعت بعد اشتباك الوصول الى باب عامود بومبى (السوارى) حيث وجــدوا الحـــامية به مستعدة لملاقاتهم ، والبـــاب محصنا ، والأســـوار خلفها الجند والأهلون مسلحون • وعندئذ آثر الانجليز متابعة الزحف شرقى المدينة لاتخــاذ مواقعهم فى البقعة التى احتلها جيشهم قبل ذلك يوم معركة كانوب (٢١ مارس ١٨٠١) فى حربهم مع مينو ، فوصلوها فى يــوم ١٩ مارس • وبادر فريزر بارسال قوات لاحتـــلال قلعـــة آبى قير ، وفى اليوم التالى ٢٠ مارس وافق أمين أغا على

التسليم بعد أن امتنع ثماني وأربعين ساعة لكي يحمي نفسه من غضب حكومته .

وقد تألفت شروط تسليم الاسكندرية من سبع مواد ، فنصت المادة الأولى على احترام حقوق الملكية وتأمين أهل الاسكندرية على اموالهم واملاكهم، واحترام عقائدهم ودياناتهم وجوامعهم وقوانينهم . وفي المدة الثالثة استيلاء القوات الانجليزية على السفن العثمانية ومتعلقاتها (وقد استولى الانجليز على الفرقاطتين والقرويت العثمانية) وفي المادة الخامسة اصدار عفو شامل عن السكان بغض النظر عن مسلكهم في الدفاع عن المدينة . وف المادة السادسة عدم اجراء أى تفتيش في منازل الأفراد حتي ولو كانوا من أعداء بريطانيا . وفي المادة السابعة أن تتسلم القوات البريطانية باب رشيد وقلعتي كريتان Crétin وكافاريللي Caffarelli وفي ليل ٢٠ ــ ٢١ مارس ١٨٠٧ تسلم الانجليز قلعتي كريتان وكافاريللي ، ولم يكلفهم الاستيلاء على الاسكندرية سوى ستة قتلى وثمانية جرحي فقط !

كان عدد رجال الحملة الانجليزية ٦٠٠٠ جندي، بينما بلغ عدد رجال حملة الجنرال بوتابرت نحو ٣٦ ألف جندى وأسطول من أعظم الأساطيل . ويرجع السبب في صغر الحملة الانجليزية الى أنها كانت تعتمد على المماليك داخل البلاد لمساندتها ، ولم تكن أهدافها تتجاوز احتلال الاسكندرية .

علـى أن تقـديرات الحملة الانجليزية بالنسـبة للمماليك لم تتحقق . فقد مات محمـد الألفى ، زعيم المماليك ، قبل مجيء الحملة بأربعين يـوما ، وتشتت أنصاره . وكان محمد على فى صراع معهم فى الصعيد، وقد أبرم معهم الصلح ليتفرغ لقتال الحملة الانجليزية على أساس أن يترك الصعيد لهم ، وعاد الى القاهرة يوم ١١ ابريل ١٨٠٧ حيث عمل على تجريد جيش لقتـال الانجليز ، كان يتألف من أربعة آلاف مقاتل من المشاة وألف وخمسمائة من الفرسان ، وسارت قاصدة الى رشيد بقيادة طبوز أوغلى ، نائب محمد على (وهو جد حسين رشدى باشا أحد رؤساء الوزراء السابقين) .

على أنه قبل أن يصل محمد عـلى الى القاهرة كان فريزر ، تحت الحاح ميسيت ، وبالمخـالفة لتعليمات حكومته ، قد أرسل حملة الى رشيد ، تحت الاعتقاد بأن جنود الحملة بالاسكندرية معرضون لخطر الموت جوعا اذا لم يحتل رشيد والرحمانية . ولكن الحملة على رشيد، وهى التى وقعت يوم ٣١ مارس ١٨٠٧ ، منيت بهزيمة منكرة ، قتل من الانجليز ١٧٠ قتيـلا وجرح ٢٥٠ ، وأسر المصريون ١٢٠ أسيرا ، وبادر على بك ، حاكـم رشيد ، بارسال الأسرى الى القـاهرة ، ومعهم رؤوس قتلاهم ، ليكون ذلك اعلانا بالنصر الذى حققته رشيد . وقد أراد فريزر أن يمحو أثر هذه الهزيمة فأرسل حملة ثانيـة الى رشـيد قامت فى ٣ ابريل بقيـادة الجنرال

ستيوارت Stewart وضربت الحصار على رشيد ، واحتلت الحماد التى تقع جنوبى رشيد بين النيل وبحيرة ادكو • واستمر الحصار والقتال حتى وصل المدد الذى أرسله محمد على ، ومنيت القوات الانجليزية بهزيمة كبيرة فى الحماد فى يوم ٢١ ابريل ، وبلغت خسارتها ٤١٦ قتيلا و ٤٠٠ أسير • واضطرت القوات البريطانية المحاصرة لرشيد أن ترفع عنها الحصار وتنسحب الى أبى قير ومنها الى الاسكندرية •

ومنذ ذلك الحين اعتصمت القوات الانجليزية بالاسكندرية وأخذت فى تحصينها ، ورأى فريزر أن يؤمن هذه القوات بقطع سد أبى قير لتغطى مياه بحيرة أبى قير على مريوط وتحيط المياه بالاسكندرية من جميع الجهات فكانت هذه هى المرة الثانية التى يقطع فيها هذا السد على يد الانجليز ، ليتلف ترعة الاسكندرية وبمنع وصول مياهها الى الثغر ، ويخرب بلادا كثيرة فى جهات مريوط • أما المرة الثالثة فكانت على يد على باشا الجزائرلى •

وعلى كل حال فان الموقف فى أوروبا لم يلبث أن ضغط على يد بريطانيا للجلاء عن الاسكندرية ، فأرسلت تستدعى جيشها من الاسكندرية ، وأمرت الجنرال فريزر بالاقلاع بجنوده الى صقلية ، ففوض الجنرال فريزر الجنرال شيربروك Scherbrook فى الاتفاق مع محمد على على الصلح ، وتقابلا فى دمنهور ، التى

وصل اليها محمد على على رأس جيش من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسـان المجهزين بمدفعيـة قوية . وهناك أبرم الطرفان معاهدة الصلح فى ١٤ سـبتمبر ١٨٠٧ ، وهى تقضى بجـلاء القـوات البريطانية عن الاسكندرية مقابل استرجاع الانجليز أسراهم وجرحاهم . وقد بادر محمد على بانفاذ أمره الى القاهرة لاحضـار الأسرى على الفور ، وأخذ فريزر يعد معدات الجـلاء وتسلم الأسرى . وفى يـوم ١٩ سبتمبر ١٨٠٧ ، تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية ، وبذلك طويت صحيفة الاحتلال الانجليزى الثانى ، وكانت مدته ستة أشهر .

وقد خدمت هذه الحملة علاقة الاسكندرية ببقيـة القطر ، التى كانت قد انقطعت خلال السنوات السبع السابقة ، بعد أن اعتبرها الباب العالى تابعة له تبعية مباشرة . فقد تمكن محمـد عـلى من ضمها الى جامعة الوطن ، ودخلها محمد على بعد جلاء الانجليز فى يـوم مشهود أطلقت فيه مدافع القـلاع والأبراج ، وكانت هذه هى أول مرة تطأ فيها قدم محمد على الاسـكندرية فى يوم ٢٠ سبتمبر ١٨٠٧ .

وقد بادر القناصل والأعيان وكبار التجار والمشايخ والعلماء ورؤساء الجند بتقديم التحية له ، وقام الباشا بزيارة المدينة وتحصيناتها وقلاعها ومخازنهـا ، وكان أول ما استرعى انتباهه خلو الخزانة بالاسـكندرية ،

قام بفحص حسابات الجمارك وسجلات احتكارات الصودا وأصناف السوائل ، وتبين من هذا الفحص أن الأموال المحصلة منها والتى كان يجب أن تمتلىء خزانة الحكومة بالاسكندرية ، قد بددت · ولذلك أخذ من التجار الأوروبيين بالثغر سلفة قدرها عشرون ألف ريال تقوم جمارك الاسكندرية بسدادها لأصحابها من ايراداتها ·

وقد ترتب على جلاء الانجليز عن الاسكندرية أن غادرها كثير من أولئك الذين اعتقدوا أنهم صاروا موضع كراهة عظيمة بسبب صداقتهم ومعاونتهم للانجليز · وقد لجأ بعض هؤلاء الى البريطانيين حتى يحملوهم على ظهر سفنهم معهم ، بينما هاجر عديدون من سكان الاسكندرية ، مسلمين ومسيحيين على السواء ، ومن بين هؤلاء الأخيرين أسر لبنانية كثيرة ذهبت الى الشام ، ونزح قسم كبير من فقراء الاسكندرية الى الصحراء ليعيشوا مع البدو فى خيامهم · ومن بين من هاجروا من الاسكندرية الشيخ محمد المسيرى ، والشوربجى ، ورئيس قضاة الاسكندرية سيدى قاسم غريانى · وأما الشيخ ابراهيم باشه ، زوج كريمة الشيخ محمد المسيرى وأحد الموقعين على تسليم الاسكندرية الى الانجليز ، فقد آثر أن يقبل قدمى محمد على يطلب منه الصفح ، على الهجرة من

الاسكندرية ، فعفا عنه الباشا ، وأمنه على حياته ، وخلع عليه فروة ثمينة .

والمهم هو أنه بانضمام الاسكندرية الى الولاية ، نفصمت تلك الحلقة القديمة التى كانت تربط لاسكندرية بالقسطنطينية . فقد كانت تعد حتى ذلك لحين بمثابة المنفذ الذى يبسط منه الباب العالى نفوذه لى مصر كلما تسنى له ذلك ، والبؤرة التى يدبر فيها نباطه ورجاله مكائدهم ضد الباشوات العثمانيين أو لبكوات المماليك اذا قوى شأن هؤلاء وأولئك ، لتقويض سلطانهم ، والقاعدة التى يرسل اليها السلطان أساطيله قيادة القبطان باشا تحمل واليا جديدا يحل محل حمد على فى حكم البلاد وأمرا بابعاده الى باشوية خوى . فكان معنى انضمام الاسكندرية الى الولاية دخولها فى نطاق باشوية القاهرة انعدام ذلك الاتصال لمباشر بين مقر السلطنة وبين باشوية محمد على ، تعذر على أعداء الباشا وضباط الباب العالى أن يجدوا ى مصر وكرا يحيكون منه دسائسهم ضد نفوذه سلطانه . وكان من أثر ذلك أن اعتبر محمد على متلاك الاسكندرية « فتحا » حقيقيا . وقد علق الشيخ جبرتى على ذلك بقوله ان الباشا بجلاء الانجليز ، دخول الاسكندرية فى حوزته ، قد « استقر واطمأن اطره ، وخلص له الاقليم المصرى » .

الإسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه :

كان استيلاء محمد على على الاسكندرية نقطة تحول فى تاريخها ، وبداية بعث الحياة فى هذه المدينة العظيمة ، بعد أن اندثرت أهميتها قرونا عديدة ، وانتقلت الى ميناء رشيد • فقد أدرك منذ البداية أهمية هذه المدينة ، وعمل على الفور على النهوض بها ، ووضع أسس تنميتها حتى أصبحت ثانية مدن القطر بعد القاهرة •

وقد بدأ فى عام ١٨٠٧ / ١٨٠٨ بانشاء « ديوان ملكى الاسكندرية » ، الذى هو أساس ما عرف فيما بعد باسم « محافظة الاسكندرية » • ولكن العمران فى المدينة كان يسير بطيئا ، ففى عام ١٨١٠ كانت المدينة ما تزال مدينة عربية الطابع ، وكان القليل من الأوروبيين فيها يشتغلون بالتجارة ، أما المواصلات التجارية الداخلية بين الاسكندرية وبقية مدن القطر ، فكانت تجرى بطريق البحر من دمياط أو رشيد • وكان ذلك يسبب مشاق كثيرة لأهل المدينة والأجانب ، ولذلك لم يزدد عدد سكان الاسكندرية كثيرا عما كان عليه عند دخول محمد على اليها ، وهو ثمانية آلاف نسمة تقريبا •

وقد أدرك محمد على أن الاسكندرية لن يتسنى لها النهوض الحقيقى طالما ظلت المواصلات بينها وبين بقية

مدن القطر على هذا النحو من الصعوبة ، ولذلك عمل على انشاء ترعة للملاحة تسير فيها السفن المشحونة بالغلال وغيرها من منتجات البلاد الى الاسكندرية عن طريق فرع النيل الغربى ، دون أن تمر بميناء رشيد ، ومن هنا كلف أحد المهندسين الأتراك ، وهو شاكر أفندى ، بشق ترعة المحمودية ، مكان ترعة الاسكندرية القديمة ، التى كانت الاتربة والرمال قد طمرتها ، على أن يكون مدخل الترعة عند قرية العطف • وقد بدأت أعمال الحفر فى ٢١ ابريل ١٨١٧ ، واستكملها مهندس فرنسي يدعى كوست Coste حتى انتهى العمل فيها في ديسمبر ١٨٢٠ • واحتفل بفتح فوهة الترعة ودخول مياه النيل الى الاسكندرية في فبراير ١٨٢١ ، وسميت باسم « المحمودية » تيمنا باسم السلطان محمود الثانى العثمانى ، وأصبحت الترعة هى طريق المواصلات النيلية بين الاسكندرية وداخل البلاد •

وكان محمد على قد مهد لذلك باصلاح سد أبى قير القديم ، وسد فتحة بحيرة أبى قير بجسر من الأحجار ، لكى يقى ترعة المحمودية من طغيان مياه البحر اليها • ومنذ ذلك الحين أخذت بحيرة أبى قير تجف تدريجيا حتى صارت الآن أرضا زراعية •

وقد بلغ طول ترعة المحمودية ٨٠ ٢٥٢ مترا ، وقد جعل فى فوهتها فى البداية قناطر تمنع دخول

المراكب من النيل اليها ، فكانت البضائع الآتية من القطر تنقل عند فوهتها الى مراكب أخرى من مراكب المحمودية ، وعند وصولها الى الاسكندرية تنقل الى مراكب البحر المتوسط • وفي سنة ١٨٤٢ أمر محمد على بازالة هذه القناطر وعمل هويسات في مدخلها ومخرجها ، أحدهما صغير عرضه اربعة أمتار للمراكب الصغيرة ، والآخر كبير سعته ثمانية أمتار للمراكب الكبيرة ، وبذلك زالت الصعوبات الناتجة من نقل البضائع مرتين •

وقد بلغت نفقات حفر هذه الترعة ثلاثمائة ألف جنيه حسب تقدير كلوت بك • ولم يكن الغرض منها مجرد تيسير الملاحة بين الاسكندرية وبقية القطر ، أو حصول أهالى الثغر على كفايتهم من المياه فحسب ، بل كان الغرض أن تكون هذه المياه كافية لانشاء البساتين ورى الحقول والمزارع في ضواحى الاسكندرية ، وعلى ضفاف الترعة • وبالفعل فعندما حفرت ترعة المحمودية كان عدد الأفدنة ذات الزراعة الصيفية أقل من أربعة آلاف فدان ، فزادت زيادة عظيمة حتى بلغت فى عام ١٨٤٩ ثلاثة أضعاف المساحة ، أى ١١٥٤٥ فدانا • وابتنى الأغنياء القصور وأنشئوا البساتين على ضفاف الترعة فى جهات كانت من قبل أرضا جرداء •

وقد اشترك في حفر ترعة المحمودية نحو ٣١٣٫٠٠٠ من الفلاحين ، جىء بهم من مديريات

البحيرة ، والغربية ، والشرقية ، والدقهلية ، والمنوفية ، والقليوبية ، الجيزة • مات منهم عدد كبير دفنوا تحت أكداس التراب الذى كانوا يرفعونه من قاعها ، بسبب قلة الزاد المؤنة وسوء المعاملة ، حتى ليذكر شاهد عيان هو المسيو مانجان Mengin أنه مات اثنا عشر الفا فى مدة عشرة أشهر فقط !

والمهم هو أن حفر هذه الترعة يعد البداية الحقيقية لنمو المدينة الحضارى العمرانى والاجتماعى • لقد أخذ عدد السكان فى المدينة يتضاعف بعد عام ١٨٢١ ، فقد ارتفع فى الفترة من ١٨٢١ الى ١٨٤٠ الى ٦٠٠٠٠ ألفا ، وفى الفترة من ١٨٤٠ الى ١٨٤٨ ارتفع الى ١٤٣٫٠٠٠ نسمة على أقل تقدير • وفى عام ١٨٧٤ وصل الى ٢٧٠٫٠٠٠ نسمة •

وفى نفس الوقت أخذ الباشا يهيىء الاسكندرية لتكون المرفأ الوحيد الذى تستطيع أساطيله اتخاذه مكمنا آمنا لها • فبعد موقعة نافارين البحرية (أكتوبر ١٨٢٧) رأى محمد على أن ينشىء أسطولا جديدا بأيد مصرية ، ومن هنا بدأت فكرة تأسيس ترسانة كبرى بالاسكندرية لبناء السفن الحربية ، واتخذ نواة لها الترسانة القديمة • وقد استعان محمد على لتحقيق هذا المشروع بمهندس فرنسى يدعى سيريزى Cerisy

وقد قدم الرسوم اللازمة لانفاذ المشروع الى محمد على في ٩ يونية ١٨٢٩ ، وشرع من فوره في اخراج المشروع الى حيز العمل ، وتم بناء الترسانة سنة ١٨٣١ بعد أن استدعى محمد على لبنائها عدة آلاف من الشبان والعمال من النجارين والحدادين والسباكين والميكانيكيين وغيرهم ، وصارت ترسانة الاسكندرية من أعظم المنشآت الحربية والبحرية — وأصبحت معهدا لتعليم الشبان المصريين بناء السفن وترميمها وما يلزمها من آلات .

وفي نفس الوقت بدأ في توسيع ميناء الاسكندرية وتعميقها وانشاء الأرصفة الجديدة بها (١٨٢٨ — ١٨٣٣) واستحضر لذلك الكراكات من أوروبا حتى صارت السفن ترسو على الشاطىء بعد أن كانت ترسو بعيدا عنه . كما أذن للسفن الأوروبية التجارية والحربية بالدخول في الميناء القديم الغربي بعد أن كان غير مباح لها في عهد المماليك أن ترسو الا في الميناء الشرقي . وكان من نتيجة ذلك اتساع الحركة التجارية في هذا الميناء . كذلك انشأ رصيفا داخل الميناء لرسو السفن عليه ، وملأ المتخلف بين الأرصفة والشاطىء بالأحجار والأتربة ، فاتسع الشاطىء ، وأنشأ في ذلك الفضاء ما تحتاج اليه الميناء من المخازن وأبنية الجمرك ومساكن الموظفين .

كذلك انشأ محمد على في الميناء حوضا لترميم

السفن مما لا تستغنى عنه المواني الكبرى ، وقد تم انشاؤه فى سنة ١٨٤٤ • كذلك أنشأ رصيفا للشحن فى الميناء ، ومد سكة حديدية تصل مستودعات البضائع والغلال بالرصيف لتسهيل نقلها الى السفن •

ولارشاد السفن القادمة الى الميناء والخارجة منها ، أنشأ بشبه جزيرة التين فنارا يعد من أبدع الانشاءات، كما أنشأ مستشفى بحريا خاصا بالأسطول ، ومعسكرا بحريا لتعليم البحارة فى الجهة الشمالية الشرقيــة من رأس التين •

كذلك أصلح محمد على قلاع الاسكندرية وأنشــأ غيرها للدفاع عن البلاد ، واستدعى من فرنســا لذلك مهندسا فرنسيا هو « جاليس Galice » وقد بلغ عدد حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٤٨ ، ٢٥ حصنا ، كان أكبرها قلعة قايتباى ، التى كان عدد مدافعهـا ١١٠ مدافع •

وقد شهد عصر محمد على نزوح الأجانب بكثرة الى مصر عامة ، والى الاسكندرية خاصة • ففى عام ١٨٠٠ لم يكن عدد الأجانب فى مصر كلها يتجاوز مائة نسمة ، ولكن هذا العدد ارتفع الى ٤٨٨٦ فى عام ١٨٢٣ ، ثم الى ٤٦ر١١٨ فى عام ١٨٩٧ • ويرجع السبب فى ذلك الى سياسة محمد على ازاء الأجانب ، فقد ألغى ما كان متبعا من اجراءات ازاء المسيحيين من قبل ، اذ كانوا

يمتنعون من ركوب الخيل ، وارتداء الملابس ذات الألوان الخاصة بالمسلمين . وأذن للرهبان ببناء الأديرة ، كما أذن للكنائس بأن تدق نواقيسها ، ولرؤساء الطوائف باقامة القداس علنا . كما استخدم الكثيرين من الأجانب لتنفيذ مشروعاته العمرانية والعسكرية . ومن هنا تبدلت حال الأجانب فى مصر ، فتركوا حياة العزلة فى الأحياء المخصصة لهم ، وخرجوا من « الخانات » ليختلطوا بالأهالى .

وقد كان بعد حفر ترعة المحمودية أن تأسس بالاسكندرية عدد كبير من بيوت المال والأعمال التى تتولى تجارة الصادر والوارد ، من فرنسية ونمسوية وسويسرية ويونانية وغيرها . وكان هؤلاء الأجانب من الرعايا الانجليز النازحين من جزيرة مالطة . وقد مثلوا فى عام ١٨٣٣ أكثر من ٦٠ فى المائة من مجموع الأجانب بالاسكندرية (٣٠٠٠) ويليهم فى العدد التسكانيون ، ومعظمهم من اليهود (٥٠٠) واليونانيون (٤٠٠) والفرنسيون (٣٠٠) والنمسويون (٢٩٦) . ثم أعداد قليلة من أهل مملكة نابولى وسردينيا واسبانيا وسويسرا ، كذلك الألمان والرومانيين وجزر البليار .

وقد كان اليونانيون أول من بكروا بالمجىء الى مصر منذ عام ١٨١١ ، وتلاهم الفرنسيون الذين كثر عددهم عقب انهيار امبراطورية نابليون بونابرت ، أى منذ

عام ١٨١٥ ، ثم الايطاليون ، حتى كانت اللغة الايطالية هى اللغـة الأجنبيـة الأكثر تداولا • وكان هـؤلاء الايطاليون يعرفون العربية ، كما كان عامة الأهالى فى الاسكندرية يتكلمون الايطالية • وفى ذلك يقول رفاعة الطهطاوى فى كتابه « تخليص الابريز » عند كلامه عن الاسكندرية ابان رحلته الى باريس ، ان أغلب السوقة بمدينة الاسكندرية يتكلم بشيء من اللغة الايطالية •

وبشكل عام قام الأجانب فى الاسكندرية بنشاط من كل نوع ، وعلى رأسه النشاط التجـارى • وكان التجار الأوروبيون يقومون بجميع العمليات التجارية بين مصر وأوروبا ، وكذلك الملاحة فى ميناءالاسكندرية التى كانت فى يـد الأوروبيين وحـدهم • وقد أورد بورنج Bowring فى تقريره الى الحكومة الانجليزية فى مارس ١٨٣٩ قائمة بأسماءالتجار الأوروبيين المقيمين بالاسكندرية تضم ٧١ تاجرا ، وتضم بعض أسماء ليهود مرموقين كما تضم أسـماء كانت لاتزال معـروفة فى الاسكندرية أو فى القاهرة الى عهد قريب ، مثل أفرينو Avierino اليونانى ولامبروزو Lumbroso التوسكانى وسكاكينى Sakakini الفرنسى وزيزينيا Zizinia اليونانى وزوغيب Zogheb التوسكانى • وفى هذا التقرير ذكر أن شطرا كبيرا جدا من تجارة مصر مركزه الاسكندرية ، فأغلب ما يصدر الى أوروبا مقصور على هذا الثغر •

وقد كان لوجود الأجانب في الاسكندرية بأعدادهم الكبيرة أثره في امتداد العمران بالمدينة ، وفي تحديد ذلك الاتجـاه • ففي أول القـرن التاسـع عشر كانت المدينة تقتصر على حي الجمرك وحي المنشية تقريبا • وفي منتصف القرن كانت المدينة قد امتدت في اتجاهين : نحو الشمال ، لتشمل حي رأس التين وحي الأنفـوشي الحاليين ، ونحو الجنوب الشرقي قلب المدينة التجارى الحالى حتي شارع صفية زغلول وطريق الحرية وامتداده حتي شارع سيدى المتولى في الجنـوب • وكانت معظم المباني والمنشآت التى آقيمت فى هذه المنطقة خاصـة بالأجانب • فقد سجل مولر Charles Muller في خريطته التي رسمها للمدينة عام ١٨٥٥ ثلاث عشرة قنصلية ، وأعدادا أخرى من الفنادق والمطاعم والمقاهي والكنائس الأفرنجية والمستشفيات الأجنبية ، وهذه كلهـا كانت مركزة في هذه المنطقة وحدها • ومنذ ذلك الوقت وهي قلب المدينة التجارى • ومن الثـابت أن معظم الأجانب الذين وفدوا على الاسكندرية خـلال عصر محمد عـلي كانوا يقيمون في قلب المدينة حول ميدان المنشية الذى خطط في عهده وشـيدت المباني الأوروبيـة الطـراز حوله •

ويرجع امتداد المدينـة في الاتجـاهين الشـمالي والجنوبي الشرقي الى منح محمد على الأوروبيين الأراضي على ضفتي ترعة المحمودية بعد حفرها ، فأقاموا عليها

المنازل تحيط بها المزارع والحدائق ، ولا سيما على الضفة الشمالية ابتداء من موضع قصر أنطونيادس الحالي في الشرق حتى حي كرموز الحالي في الغرب ٠

وفي عام ١٨٣٥ ، وبسبب انتشار الطاعون ، ألف لجنة قنصلية صحية برياسة القنصل الانجليزي كامبل Campbell للنظر في وسائل تحسين الصحة العامة بالاسكندرية ، وقد استطاعت اللجنة أن تقوم بأعمال مفيدة ، كهدم الأكواخ القذرة في الأحياء الوطنية ، وردم البرك والمستنقعات ، ونقل مدبغة الجلود من وسط المدينة ، وفتح طريق متسع من الحي الأوروبي الى الجمرك ٠

كذلك أنشأ محمد علي « لجنة تنظيم الاسكندرية » للنهوض بالمدينة ونظافتها وتوفير الشروط الصحية لها ٠ وقد قامت اللجنة بأعمال هامة ، فقد اهتمت بتسهيل الحركة في الشوارع ، وتهوية المنازل، وملاحظة المباني القائمة أو التي يراد اقامتها ٠ كما حصلت على نقل جميع الجبانات الى خارج أسوار الاسكندرية ، وكان لهذه اللجنة الفضل في ادخال كثير من التحسينات على المدينة ٠

ومع أن عباس الأول ، الذي خلف محمد علي (١٨٤٨ ــ ١٨٥٤) لم يكن من الحكام البنائين مثل محمد علي ، الا أن اعتماده على انجلترا في حماية

الاستقلال الداخلى لمصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ / ١٨٤١ دعاه الى اسناد الخطوط الحديدية فى مصر الى شركة انجليزية ، فوقع معها عقدا لانشاء خط حديدى بين الاسكندرية والسويس ، نفذ منه فى عهده الجزء الواصل من الاسكندرية الى كفر الزيات (١٨٥٤) . وكان لانشاء هذا الخط أثر كبير فى عمران مدينة الاسكندرية ونموها وازدياد أهميتها .

وقد حظيت الاسكندرية فى عهد خلفه محمد سعيد باشا (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣) برعاية خاصة ، اذ كان يحب المدينة ، وكان له قصر بالقبارى يقيم فيه . وفى عهده تم انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة ، كما طهرت ترعة المحمودية تطهيرا شاملا حتى ليعده البعض حفرا جديدا لها . وفى الوقت نفسه تم وصل الاسكندرية بالقاهرة بخطوط التلغرافات الحديثة .

وسرعان ما جاء عهد اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) ليقفز بالاسكندرية قفزة واسعة من التطور بفضل سياسته التى كانت تريد أن تجعل من مصر قطعة من أوروبا . فقد ازداد عمران الاسكندرية نتيجة لنمو التجارة الداخلية والخارجية بالمدينة ، ونزوح كثير من الأجانب اليها ، وتأسيس كثير من الشركات الأجنبية ، وافتتاح فروع لشركات النقل والسفن والملاحة والمصانع ، وفروع لبعض المصارف الأجنبية . وقد

ازدادت نسبة النشاط التجارى فى الميناء الى ٩٤ فى المائة من الصادرات المصرية كلها فى الفترة من ١٨٦٣ الى ١٨٧٣ .

وكان من مظاهر العمران فى المدينة أن اختلطت بها شوارع وأحياء جديدة ، مثل ضاحية الرمل ، التى أنشأ بها اسماعيل قصر الرمل ، ووهب قطعا كثيرة من هذه الضاحية الى الأجانب ، فأقاموا عليها القصور الجميلة ، ومن هؤلاء الكونت زيزينيا ـ الذى ما تزال قطعة من الرمل تسمى باسمه حتى اليوم .

وكانت ضاحية الرمل هذه من قبل صحراء جرداء بها قرية صغيرة تسمى « الرملة » يسكنها عدد قليل من السكان ، وهى احدى قرى أربع كانت تتناثر بالمنطقة هى : الحضرة ، والرملة ، والسيوف ، والمندرة . وعندما أخذت الاسكندرية ، بحدودها القديمة ، تضيق بسكانها ، أخذت تتجه بامتدادها شرقا حيث الأراضى المتسعة الرخيصة . وقد كان الأجانب أكثر تقديرا من المصريين لقيمة هذه الأراضى ، فأخذوا فى شرائها . وكانت القطعة التى تتراوح مساحتها بين سبعة وعشرة أفدنة تباع بعشرين قرشا .

وفى وسط المدينة كان هناك ميدان محمد على ، مركز التجارة الأوروبية فى الاسكندرية حيث تنتهى أهم شوارعها ، وقد أقامت المدينة فى هذا الميدان تمثالا

بديما من البرونز لمحمد علي في سنة ۱۸۷۲ ، صنعة المثال الفرنسي « جاكمون » Jaquemont وكان قد عرض بمعرض باريس في نفس العام ، ونصب على قاعدة بديمة من الرخام الايطالى • وبالاضافة الى ذلك كان الميدان محاطا بالنصب التذكارية الجميلة والفنادق الفخمة ، والمتاجر الفنية •

وفي نفس الوقت فان نمو المدينة كان قد صاحبه انشاء المرافق العامة كالمياه والنور الكهربائي والمجارى - ففى عام ١٨٦٥ منحت الحكومة شركة «ليبون وشركاه» امتياز انارة الاسكندرية وضواحيها بغاز الاستصباح ، ثم عدل هذا الامتياز بمنح الشركة حق الاضاءة بالكهرباء •

وتعتبر الاسكندرية من أسبق مدن القطر المصرى فى انشاء المجارى تحت الأرض • فقد أنشئت أولى عمليات المجارى بها فى عام ١٨٧٨ ، وأخذ المشروع فى التوسع مع تزايد السكان •

وفي عهد اسماعيل تم توصيل المياه العذبة من ترعة المحمودية ، وتم توزيعها بواسطة وابور مياه الاسكندرية • وكانت الشركة الأجنبية التى تأسست لهذا الغرض قد تأسست وأبرم العقد الأول معها فى عهد سعيد ، ثم تحرر العقد النهائى فى عهد اسماعيل •

ومن الشوارع التي خطها اسماعيل شارع ابراهيم الممتد من مدرسة السبع بنات الى ترعة المحمودية ، وشارع الجمرك ، وشارع المحمودية ، بالاضافة الى ستة شوارع أخرى ممتدة بين سكة باب شرقي والطريق الحربي الذى كان يحيط بالمدينة . كما أوصل جهة الرمل بالمدينة بخط حديدى، وجعلها مصيف القطر المصرى ، وفتح شارعا عظيما يمتد من باب رشيد الى حدود الملاحة بزمام المندرة ، مارا بالسراى الخديوية بالرمل ، طوله من باب شرقي الى السراى ٤٠٠ متر وعرضه ١٢ مترا ، ومن السراى الى الملاحة ٤٠٠٠ وعرضه ثمانية أمتار ، ومد طريقا من الملاحة الى ترعة المحمودية . كذلك أنشأ حديقة النزهة على ترعة المحمودية ، وجعلها متنزها هاما ، وبنى سراى الحقانية التى أنشئت بها المحكمة المختلطة . وبلغ سكان المدينة فى عهده ٢١٢٫٠٠٠ نسمة .

وعندما خشى اسماعيل مزاحمة بور سعيد بعد انشائها للاسكندرية ، وأن تتحول اليها التجارة الخارجية بعد أن قارب مشروع قناة السويس على التمام ، عمل على توسيع ميناء الاسكندرية لتجتذب اليها السفن . وكان أول ما بدأ به اقامة حوض عائم من الحديد لاصلاح السفن ، والحوض المبنى بالحجر من عهد محمد على الذى أصبح مع الزمن لا يفى باصلاح السفن كبيرة الحجم . وقد جلب الحوض الجديد من

فرنسا في سنة ١٨٦٨ . ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذي يقي الميناء طغيان الأمواج ، ويجعل السفن الراسية به في مأمن من العواصف ، ولا يزال موجودا الى اليوم، وهو جسر من الدبش والأحجار الضخمة ممتد من طرف شبه جزيرة رأس التين الى جهة العجمي ، وفيه البوغاز لمرور السفن منه . وأنشأ بداخل الميناء رصيفا للشحن والتفريغ ، وأرصفة أخرى ممتدة في داخل الميناء . وقد تكلفت هذه الانشاءات ثلاثة ملايين جنيه، وبدأ العمل بها في ١٨٧١ وانتهى في ١٨٧٩ . كذلك أنشأ عدة فنارات في الاسكندرية ، أولها فنار العجمي سنة ١٨٧٣ وفنار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦ ، وفنار القباري سنة ١٨٧٧ .

وفي عام ١٨٦٣ افتتح اسماعيل الخط الحديدى من الاسكندرية الى موقع محطة بولكلى الحالى ، عن طريق جامع سيدى جابر ، وذلك بقطار يتكون من أربع عربات تجرها الخيول . ولم تلبث في نفس العام أن استعملت قاطرة بخارية لجر العربات بدلا من الخيول .

في ذلك الحين كان الأوروبيون قد أصبحوا جزءا من الحكومة في المدينة ، وليسوا مجرد جزء من المجتمع الاسكندرى ، فقد اشتركوا في الادارة ، وحظوا بنصيب من السلطة التنفيذية في المدينة ، وقد أعيد تنظيم البوليس في الاسكندرية في عهد اسماعيل ، واستخدم

البوليس في المدينة خمسين رجلا من الأوروبيين أغلبهم من السويسريين • كما أنشئت المسارح فى الاسكندرية، كمسرح زيزينيا •

وقد كان هذا هو الوضع فى الاسكندرية عندما قامت الثورة العرابية ضد الوصاية الأجنبية والحكم المطلق • وقد تأثرت بها الاسكندرية تأثرا كبيرا •

الاسكندرية والاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ :

على الرغم من عناية محمد على وخلفائه بتحصين مدينة الاسكندرية لحمايتها من الغزو الأجنبى ، وعلى الرغم من أن تحصين الاسكندرية عند وقوع الغزو البريطانى فى يولية ١٨٨٢ كان أفضل من تحصينها عند قدوم الحملة الفرنسية بما لا يمكن مقارنته ، الا أن التقدم الذى طرأ على التسليح فى أوروبا فى ذلك الوقت جعل تحصين الاسكندرية غير واف بمتطلبات الدفاع عنها ضد أسطول أوروبى حديث •

فقد رأينا كيف عهد محمد على الى جاليس بك بتحصيين مدينة الاسكندرية حتى أصبح عدد حصونها فى عام ١٨٤٠ ، ستة عشر حصنا • وفى سنة ١٨٤٠ زاد عدد هذه الحصون حتى صارت ٢٥ حصنا • وفى عهد ابراهيم عمل على استكمال طوابى الاسكندرية واستحكاماتها ، وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ،

وهو ما استمر في عهد عباس الأول ، حيث أضاف الى حصون الاسكندرية قلعة مقابر اليهود وقلعة أبي قير وقلعة العجمي ، مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . وعندما تولى اسماعيل الحكم عزز هذه الحصون بمدافع أحدث ، فابتاع من انجلترا فيما بين سنة ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٣ مائتي مدفع من طراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان ، وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان ، وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢ طنا ، وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طنا ، وهي مدافع يجرى شحنها من الأمام ، كما ابتاع أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من نفس الطراز يجرى تعميرها من الخلف . ونصبت في حصون الاسكندرية الأربعة مدافع الأخيرة ، و ٤٥ مدفعا من المدافع الأولى .

على أن المشكلة تمثلت في أن ساحل مدينة الاسكندرية لم يكن يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن المدينة شر القنابل الحديثة ، فقد كان سهلا منبسطا ليس به هضاب ولا جبال اللهم الا بعض التلال المصنوعة . وكان حصن أم قبيبة هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض ، ولكن كل المدافع في الحصون كانت منصوبة في العراء بدون أن يعلوها أية سواتر تقي جنودها الاصابة ، الأمر الذى كان يعرضها لنيران مدافع السفن التي هي أعلى منها . وفي الوقت نفسه كانت هذه المدافع ، فيما عدا مدافع الأرمسترنج التي كانت

مزودة بسواتر عالية وسميكة وبها كوات مناسبة ، قطعا عتيقة ليست لها أية قيمة حربية ، فكان مرماها قصيرا وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطاني ، حتى ليذكر أن سفينة القيادة البريطانية « الكساندرا Alexandra » أصيبت بستين قنبلة من هذا النوع ، فلم تسفر الا عن قتل جندى واحد وجرح ثلاثة !

والى جانب حصن أم قبيبة المقام على تل مرتفع ، كان يوجد حصن قايتباى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا ، ولكن جدرانه لم تكن من المتانة بحيث تستطيع مقاومة تأثير مدافع الأسطول .

كذلك كان فى كل الحصون — بدون استثناء — مبان عديدة مرتفعة عن ستائرها ، مثل مستودعات القنابل ، والثكنات ، والمخازن . وكانت هذه المبانى المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفا عجيبا لا تخطئه نيران مدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود بصفة خاصة غير مصونة الصيانة الكافية .

وقد كانت الحصون التى كانت معرضة لمدافع الأسطول البريطانى فى سنة ١٨٨٢ هى أربعة عشر حصنا ، كان منها أربعة غير مجهزة بمدافع أرمسترونج،

وهى طوابى : صالح أغا (ولا تزال باقية الى اليـوم ، ومعروفة باسم : طابية صالح ، وكانت تقوم باطلاق المدافع لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية) - وبرج رقم ١٥ ، والقمرية ، والدخيلة ــ ولم تكن لها ـــ بالتالى ــ أية فاعلية دفاعية • أما العشر الأخرى فكانت طوابى : السلسلة ، وكانت تشغل الرأس الداخل فى البحر الذى حولته البلدية الى متنزه ، وكان بها مدفعان أرمسترونج • وطابية قايتباى ، وبها ستة مدافع ، وطابية الاطة ، ولا تزال فى موضـعها كما كانت الى الآن شرقى حمام الأنفوشى • والأطة كلمة تركية معناها : « الجزيرة » ، وهذه الطابية الآن تعرف عند النـاس باسم : طابية القضا • وكان بها أربعة مدافع ، وطابية الاسبتالية ، وتقع الى الشرق من طابية الأطة ، وكان بها مدفعان فقط • وطابية رأس التين ، وبها خمسة مدافع - والفنار ، وبها ست مدافع ، وطابية أم قبيبة (أو أم كبيبة) ، وكان بهـا مدفعان • وطابية المكس وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب ، وبها خمسة مدافع - وطابية العجمى ، وكان بها تسـمة مدافع • وطابيـة المرابط ، فى جزيرة العجمى أو المرابط ، وبها ثلاثة مدافع •

وقد جرت محاولة لنقل اثنى عشر مدفعا من طراز أرمسترونج الى طوابى المكس والدخيلة ، والمرابط

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها في هذه الحصون قبل ضرب الأسطول الانجليزى ٠

وقد كانت حامية الحصون مؤلفة من آلاى مدفعية سواحل مجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا ، وهذا الآلاى هو الذى كان عليه الدفاع عن الحصون رغم ما بها من عيوب ونقص ٠ وكان يقوده أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى ووكيله القائمقام محمد بك نسيم (وهو والد توفيق نسيم باشا الذى أصبح رئيسا لوزراء مصر بعد ذلك ٠ وبه ثلاث أرط يرأس الأولى البكباشى عبد العال أبو العلا ، والثانية سيف النصر (والد حمدى سيف النصر الوزير الوفدى فيما بعد) والثالثة يقودها البكباشى محمد أفندى شرمى ٠

وعندما تطورت أحداث الثورة العرابية ووصل الى الاسكندرية في مايو ١٨٨٢ كل من الأسطول الانجليزى والأسطول الفرنسى للتدخل عند اللزوم ، أخذ الأجانب في مصر يهاجرون الى الاسكندرية ليكونوا تحت رعاية الأسطولين وعلى مقربة منهما ، وأخذوا يستعدون للقتال ضد الأهالى ٠ وعقد قناصل الدول في الاسكندرية عدة اجتماعات سرية تشاوروا فيها في تأليف قوة دفاع أوروبية في المدينة ضد الأهالى ٠ ولمح الأهالى هذه الاستعدادات وشراء الأوروبيين الأسلحة ، فتوجسوا

شرا ، وازداد شعور السخط على الدول الأوروبية ورعاياها ، واشتدت عوامل الفتنة وهياج الخواطر • وفى تلك الظروف وقعت بين الأجانب والشعب الاسكندرى ما عرف باسم « مذبحة الاسكندرية » فى ١١ يونية ١٨٨٢ ، التى قتل فيها ٣٨ أجنبيا و ١١ مصريا ، وجرح ٣٦ أجنبيا و ٣٣ وطنيا •

ومنذ أول يولية أخذ الأسطول الانجليزى يتحرش بحكومة الثورة • فعندما قرر مجلس الوزراء طلب الترخيص من السلطان فى تعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ، طلب مجلس الأميرالية الانجليزية من الأميرال سيمور Seymour قائد الأسطول الانجليزى منع كل محاولة لغلق البوغاز الموصل للميناء ، وانذار القائد المصرى اذا باشر اعادة العمل فى الحصون أو نصب فيها مدافع جديدة ! واذا لم يوقف العمل فى الحال ، فان على الأسطول الانجليزى تدمير الحصون واسكات مدافعها اذا أطلقت النيران ، بعد اعطاء الأهالى والسفن التجارية والحربية الأجنبية المهلة الكافية • وفى يوم ٣ يولية عندما نصب مدفعان فى قلعة قايتباى ، أراد الأميرال سيمور توجيه الانذار الى القائد المصرى ، ولكن قنصل بريطانيا طلب تأجيله حتى يجد الأوروبيون فرصة الهجرة الى القاهرة ، فى الوقت الذى أرسل عرابى الى القائد الانجليزى يبلغه أنه ليست هناك أية نية لسد مدخل البوغاز • وقد

اعترضت الحكومة الفرنسية على تصرف الحكومة الانجليزية ، وقررت أنها لا تستطيع أن تعطى تعليمات لقائد أسطولها بأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية ، لأن مثل هذا العمل يعد عملا عدائيا هجوميا ضد مصر • وأرسلت الى قائد الأسطول الفرنسي تعليمات بألا ينضم الى الأميرال سيمور اذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحصيناتهم ، وأن ينسحب اذا أصر الأميرال سيمور على اطلاق النار • وفى نفس الوقت أرسل السلطان العثمانى برقية الى الخديو تحمله المسئولية اذا لم يوقف أعمال تعزيز الحصون لأن أعمالا كهذه تدعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية • وقد أكد القائد المصرى للأميرال سيمور فى يوم ٥ يولية أنه لم يوضع أى مدفع جديد فى الحصون ، ولم يتم عمل ما •

وفى تلك الظروف وجه قناصل الدول الكبرى بالاسكندرية مذكرة الى الأميرال سيمور تبلغه بأن وفرة المصالح الأجنبية فىالاسكندرية ، وما لهم من أملاك فيها ، تضطرهم الى الاستعلام منه عما اذا كان ينوى ضرب الاسكندرية ؟ وفى هذه الحالة من يقوم بترحيل الرعايا الأوروبيين ؟ وحذروا من أن ضرب الاسكندرية سوف يترتب عليه أخطار جسيمة على المسيحيين والأهالى معا ، وتدمير مالا يعد ولا يحصى من أملاك الأوروبيين •

وقد رد الأميرال سيمور بأنه اذا قرر ضرب الاسكندرية فان أعماله الحربية سوف توجه الى الحصون، ولن يكون هناك خوف من وقوع دمار للأملاك الخصوصية التي يخشون عليها • وفي يوم ٦ يولية اتهم سيمور اللواء طلبة عصمت ، القائد الحربي للاسكندرية ، بتركيب مدفعين ومحاولة اقامة أعمال اخرى على شاطىء البحر ! وقد نفى اللواء طلبة عصمت ذلك ، وأضاف الى ذلك تكذيبه لاخبار سد البوغاز • على أن الأميرال سيمور لم يأبه لكل هذه التكذيبات من السلطات المصرية عن اتخاذها تدابير حربية ، وأبلغ الأميرالية الانجليزية يوم ٩ يولية بأنه سوف يخطر قناصل الدول الأجنبية في الاسكندرية في اليوم التالي بأنه سوف يشرع في الضرب بعد ٢٤ ساعة اذا لم تسلم له الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء ! وفي يوم ١٠ يولية خفف هذه الشروط الى تسليم البطاريات المنصوبة بشبه جزيرة رأس التين وعلى ساحل ميناء الاسكندرية الجنوبي ، وتشمل طابية قايتباى ، ورأس التين ، والاسبتالية ، وطابية صالح ، وطوابى أم قبيبة ، والقمرية ، والبرج نمرة ١٥ ، والمكس ، والدخيلة ، والعجمي ، وذلك لتجريدها من السلاح • وقد ردت الحكومة المصرية على هذا الانذار بالرفض ، لأن التسليم به يعرض مصر للاحتلال دون مقاومة • وبذلك أصبح ضرب الاسكندرية بمدافع الأسطول البريطاني أمرا محتوما •

في ذلك الحين كانت الاسكندرية تتعرض لهجرة واسعة من الأجانب المقيمين بها ، لتأمين أنفسهم اذا نشبت الحرب ، خصوصا بعد أن تأزم الموقف بين الوطنيين والأجانب في مذبحة الاسكندرية . ولذلك أخذ الأوروبيون في الرحيل عن الاسكندرية منذ اليوم التالي للمذبحة ، حتى بلغ عدد الراحلين منهم يوم ١٢ يونية ١٨٨٢ اكثر من عشرة آلاف مهاجر ، نزلوا الى البحر متفرقين في البواخر والسفن الشراعية ، ثم كثرت جموع المهاجرين يحملون أموالهم وأمتعتهم في الأيام التالية حتى بلغ عدد الراحلين يوم ١٨ يونية ٣٢٫٠٠٠ مهاجر . وعندما أيقن القناصل بأن الحرب لابد واقعة ، نصحوا رعاياهم بالرحيل عن المدينة ، حتى بلغ عددهم قبل يوم الضرب نحو ستين ألفا ، وهو ما يمثل ٩٩ في المائة من عددهم الأصلي .

وفي الثلاثاء ١١ يولية ١٨٨٢ أعطى الأميرال سيمور اشارة الضرب ، الذي استمر من الساعة ٧ صباحا الى السادسة مساء مع راحتين قصيرتين، وترتب عليه اسكات حصون الفنار ، ورأس التين ، والاسبتالية، والمكس ، وأم قبيبة ، والدخيلة ، وقايتباي . وقد أصيبت بأضرار بالغة فيما عدا حصني السلسلة والعجمي، ولم يصب حصن صالح أغا الا بأضرار يسيرة . كما أصيبت مدينة الاسكندرية ذاتها بأضرار بالغة ، فقد كانت قنابل الأسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق

أحياءها فى كل جهة ، وتدمر المنازل وتشعل النيران فى كل مكان . وقد قتل من المصريين ٧٠٠ وجرح ٥٠٠ ، واستشهد من رجال الطوابى وحدهم مائة رجل بعد أن دافعوا عن مواقعهم دفاعا مجيدا رغم انكشاف مواقعهم وضعف تسليحهم ، حيث كانت المدافع القديمة لا تصل الى السفن الانجليزية ، ومدافع أرمستروتج الحديثة تخلو من المساطر اللازمة لضبط المسافات واحكام الاصابة .

وقد تفانى الأهالى فى الدفاع عن المدينة ، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج ، فكان الرجال والنساء تحت مطر القنابل ونيران المدافع ينقلون الذخائر الى الطوبجية فى الحصون ، ويتغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله . ويقول محمود باشا فهمى فى كتابه : البحر الزاخر : « ورأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالى بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابى باب العرب ، وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية ، من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات ، وهم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم ، والبعض من الأهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول ، على الرغم من عدم جدوى الضرب ، حيث لم يصب من الانجليز الا ٦ قتلى و ٢٧ جرحى . وقد اعترف الأميرال سيمور بصلابة دفاع المصريين فى تقريره الى الأميرالية الانجليزية فقال :

« لقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة ، وكانوا يردون على النيران الشديدة التى كانت تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة ، الى أن قتل عـدد كبير منهم » ٠

وقد أيقن العرابيون فى يوم ١٢ يولية أن الانجليز احتلوا الاسكندرية بعد أن دكوا حصـونها ، فاسـتقر عزمهم على الانسحاب من المدينة ليستعدوا للمقاومة فى الداخل ، وقرروا تعطيل احتلال المدينـة واستقرارهم فيها عن طريق اضرام النار فى المدينة ٠ فأمر سليمان داود ، قائد الآلاى السادس ، جنوده باشـعال النار فى المدينة فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذ الحريق يمتد حتى صارت الاسكندرية شعلة من النار فى مساء ذلك اليوم ، واستمرت النار تضطرم فيها الى اليـــوم التالى ، واشترك فى الحريق بعض الأوروبيين ، وبخاصة من الأروام المالطيين الذين بقوا فى المدينة بعد هجرة معظمهم ، وكانوا يقصدون من ذلك المطالبة بالتعويضات بعد انتهاء الحرب ٠ كما اشتركوا أيضا فى النهب ٠ وكان هذا الحريق عـلى غير رأى عرابى باشـا وزير الحربية والوزراء ، فانفرد باحداثه سليمان داود الذى تحمل مسئوليته ٠

على أن الهجرة من المدينة كانت قد بدأت فور تحقق الأهلين يوم الضرب بفوز الأسطول الانجليزى ، وتأكدوا

من قرب نزول الانجليز الى المدينة • فأخذوا يهاجرون منها الى داخل البلاد في مساء يوم ١١ يولية ، وتدفقوا على محطة السكة الحديد لركوب القطارات التى أعدت لهم مجانا ، وأخذت تنقلهم الى المدن الواقعة على الخط الحديدى • وفى اليوم التالى حث سليمان داود الأهالى على الرحيل عن المدينة على الفور تمهيدا لاضرام النار فيها ، وأوعز الى جنوده بنهب ما تصل اليه أيديهم قبل الانسحاب • فاجتمعت أهوال الحريق مع فظائع النهب على جعل هذا اليـوم أسـوأ الأيام فى تاريخ المدينة ، وهرب منهـا فى ذلك اليـوم العصيب ١٥٠ ألفا وهم يندفعون خارجها فى جنون •

وسرعان ما احتـل الانجليز الاسـكندرية ، وقام جنودهم باطفاء الحرائق ومطاردة من يحرقون المبانى وينهبونها • وأخذوا فى اقرار النظام فى المدينة عن طريق بث الحراس والخفراء فى أنحائهـا لمنع النهب • وكانت المدينة قد خلت من سكانها تقريبا بعد أن هاجروا منها • وأذن الانجليز للسكان بفتح محلاتهم ومخازنهم ، وعادت شركة الغاز الى عملها ، وأمكنها فى عشرة أيام أن تسـتأنف انارة شـوارع المديـنـة وطرقاتها بغاز الاسـتصباح ، وعادت أعلام القنصـليات تخفق فوق مراكزها قبل انقضاء شهر يولية ، وأخذت بعض المحال التجارية ، التى نجت من الحـريق ، فى فتح أبوابهـا واستئناف عملها • وبذلت قوات البوليس جهدا كبيرا

في حمل جثث القتلى من الشوارع والأزقة ، وازالة الأنقاض من الطرق التي تهدمت منازلها ، وهدم الأماكن المتداعية للسقوط ، وأقيمت بعض المباني الخشبية على جوانب ميدان محمد على (المنشية) للمبيت بها أو اتخاذها دكاكين للتجارة أو مطاعم ·

ومع استقرار الاحتلال الانجليزى في مصر ، أخذ الاستقرار يعود مرة أخرى الى الاسكندرية ، كما أخذ النشاط التجارى يدب فيها من جديد ، وفي ٥ يناير ١٨٩٠ أنشىء مجلس بلدى للمدينة بمرسوم ، وكان يتكون من أعضاء مصريين وأجانب، وكانت اختصاصاته شبيهة باختصاصات لجنة التنظيم التي كونها محمد على بعد دخوله الاسكندرية · وكان لهذا المجلس الفضل في تخطيط الأجزاء الحديثة من مدينة الاسكندرية ، لا سيما تلك التي عمرت خلال القرن الحالى ·

الاسكندرية في عهد الاحتلال البريطاني :

كان في عهد الاحتلال البريطاني أن ازداد الطابع الأوروبى لمدينة الاسكندرية الى درجة ميزتها عن بقية مدن القطر ، فقد عاد الأوروبيون الى المدينة بعد أن هاجروا منها . وأخذت أعدادهم تتزايد حتى بلغت في تعداد ١٨٩٧ أكثر من ٤٦ ألف نسمة ، أى ما يعادل ١٤٫٥ في المائة من جملة سكان المدينة ·

وكان اليونانيون أكثر الأجانب عددا ، حيث يلغ ١٨٢ر١٥ نسمة ، يليهم الايطاليون (٧٤٣ر١١ نسمة) ثم الانجليز (٨٣٠١) ، والفرنسيون (٥٢٢١) والنمساويون (٣١٩٧) . وكان هؤلاء جميعا يكونون ٦ر٩٤ في المائة من جملة الأجانب في المدينة .

وفي خلال الربع الأول من القرن العشرين واصل الأجانب تزايدهم في الاسكندرية ، فبلغ عددهم في عام ١٩١٧ ضعف هذا العدد قبل عشرين عاما، أى ٧٠٥ر٨٤ نسمة . وفي عام ١٩٢٧ بلغ عددهم ٦٠٥ر٩٩ ، وتركز النشاط الاقتصادى في أيديهم مع تدفق رؤوس الأموال الأجنبية ، ووجود الامتيازات الأجنبية .

ويلاحظ فيما يتعلق بمناطق تركز الأجانب في المدينة أن ذلك التركيز حدث على طول الواجهة البحرية للمدينة من ميدان المنشية غربا الى منطقة بولكلي شرقا، وكانت أعداد الأجانب تزداد باضطراد نحو الشرق ، بينما كانت تتناقص في الغرب ، كما يشير الى ذلك تعداد سنتي ١٨٩٧ و ١٩٤٧ .

وكانت المجتمعات الأوروبية في الاسكندرية منظمة وفعالة ، ولكل جالية أوروبية أعيادها القومية ، وكنيستها أو معبدها ، ورجال الدين ، ومدارسها ، ومستشفياتها ، ومدافنها . كما كان لكل جالية حفلاتها المتميزة الخاصة بالزواج وغيره .

وكانت الجـالية اليونانيـة هى أكبر الجاليـات الأجنبية بالاسكندرية ، وحسب تعداد عام ١٩٤٧ كانت نسبتهم في المدينة تبلغ حـوالى نصف عـدد الأجانب ، وكانـوا يشـعرون بأنهـم فى بلادهم ، فهى مدينـة الاسـكندر ، وقد بدأت العائلات اليونانية تستقر فى الاسكندرية في عهد محمد على ، ومنذ حوالى عام ١٨٣٠ أصبح اليونانيـون يكونون جالية لها نظامهـا التعليمى ونشاطها الخاص بالخـدمات والمشروعات . وعنـدما حصلت اليونان على استقلالها من الباب العالى فى أوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وضمت الجاليـة اليونانية نفسها تحت حماية الدولة الوليدة ، وصـار لناصلها العامون الرؤساء الفخريون لتلك الجالية .

وفي مدى قرن من الزمان تضـاعفت المؤسسـات ليونانية المالية بالمدينة ، مثل Tozziza ، Cozzika ، Benachi ، Salvago . وزاد نشاطهم الثقافي والاعلامى حتى انه فى الفترة ما بين عامى ١٨٦٢ و ١٩٧٢أصدر يونانيـو الاسـكندرية وحـدهم ٢٥٣ جريدة ومجلة ، غلبها باللغة اليونانية ، وبعضها بلغات مختلفة ، منها لعربية ، مثل «المخبر المصرى» عام ١٨٨٧ ، و «المنارة» عام ١٨٨٩ . و « النـور التـوفيقى » عام ١٨٩٢ ، البهلول . والنـور . وأبـو الهـول فى عام ١٩٠٣ ، « اليونانى المتمصر » بالعربيـة واليونانيـة فى عام

١٩٣٢ ، والراعى الصالح بالعربية ١٩٤٠ ، مما يشير الى أن اليونانيين اعتبروا أنفسهم مصريين ٠

وفى نفس فترة المائة عام الماضية أنتج يونانيو القطر المصرى ما يقرب من خمسة آلاف وخمسمائة كتاب وكتيب ، وقدم الكثير من يونانيى الاسكندرية دراسات تتعلق بمصر عامة والاسكندرية خاصة فى التاريخ والأدب واللغة ٠ بل أخرجت مطابع الاسكندرية كتبا ليونانيين تتعلق بقضايا مصرية ، ومعجما فى اللغتين اليونانية والعربية طبع عام ١٨٩٨ ، وترجمة للقرآن الكريم فى ثلاث طبعات أخرجت الاسكندرية واحدة منها فى عام ١٨٧٩ ٠

ويلى اليونانيون فى الأهمية فى الاسكندرية الايطاليون ، الذى كانوا يكونون جالية كبيرة يقدر عددها فى أوائل الثلاثينات من القرن الحالى بـ ٢٧ ألفا ٠ وقد وفدوا الى مصر فى حركات هجرة فردية قبل توحيد ايطاليا فى عام ١٨٧٠ ، واستمرت هذه الهجرة فردية دون مساعدة من المؤسسات الاقتصادية والمالية والصناعية فى ايطاليا ٠ وكانت لهم مجموعة من المدارس أهمها مدرسة رأس التين الحالية ، وما أصبح كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية الحالية ٠ كما كان لهم مستشفاهم بالمدينة الذى كان يسمى مستشفى بنيتو موسولينى بالحضرة ٠ كما كانت لهم صحيفتهم Il Messagero Egiziano

ومؤسســـاتهم الاقتصـــادية مثـــل Banco di Rama والبنك التجارى ، أو الغرفة التجارية الايطالية .

ويلى الفرنسيون الايطاليين فى الأهميـــة فى الاسكندرية . وتكمن أهميتهم فى مؤسساتهم التعليمية التي كانت كثـيرة ومتعـددة الدرجات . ففى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن كانت المعاهدة الفرنسـية تضم ١١٫٠٢١ طالبـا ، منهم ٥٦١ فرنسـيا . وكان يقوم بذلك النشاط ثلاثون مؤسسة فرنسية بالاسكندرية . منها البعثة العلمانية Mission Laique التى كانت تمتلك وتدير Le Lycée d'Alexandrie _ القرير Frère Des Ecoles Chrétiennes التى كانت تمتلك كلية سان مارك . وكلية سانت كاترين فى محرم بك وباكوس .

أما البريطانيون ، فعلى الرغم من أن معظم أعضاء الجالية البريطانية بالمدينة كانوا من أهل مالطة ، الا ان المـؤثرات الانجليزية فى مجتمـع الاسـكندرية كانت واضحة ، فكانت لهم مدارسهم ، ومستشفاهم . ونشاطهم الخيرى والانسانى، ومؤسساتهم الاجتماعية والتجارية . فقد أسسوا كلية فيكتوريا فى الأزاريطة عام ١٩٠١ . على نمط المدارس الانجليزية Public schools لجميع الجنسيات ، ثم نقلت الى مقرها الحالى فى سنة ١٩٠٩ . ومدرسة St. Androw's فى سنة ١٨٥٩ ، التى استقر

المطاف بها في حي السلسلة في عام ١٩٠٠ · وكانت لهم مدرسة للبنات Scottich School ثم الـ British Boy's في عام ١٩٢٨ · كذلك كان للانجليز مؤسساتهم الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية ، مثل المستشفى الانجليزى Anglo-Swiss و نادى الكتاب British Book Club ونادى سبورتنج Sporting ، ونادى الاتحاد Union Cilub · كذلك تأسس نادى اليخت British Boat Club سنة ١٩١٩ · كما كونوا فرقا للكشافة في عام ١٩١٢ وأخرى للمرشدات في عام ١٩٢١ ·

وفي عام ١٨٩٦ تأسست الغرفة التجارية الانجليزية بالاسكندرية ، التي كانت كل من السلطات المصرية والبريطانية تعمل لها كل حساب ، على اعتبار أن أعضاءها يعبرون عن الرأى العام البريطاني في مصر · وحتى عام ١٩٣٠ كان رئيس تلك الغرفة بالاسكندرية يرأس أيضا الغرفة التجارية الانجليزية في مصر · والى الانجليز في الاسكندرية يرجع الفضل في تأسيس جمعية الرفق بالحيوان Society for the Prevention of Cruelty to Animals

والى جانب هذه الجنسيات في الاسكندرية وجدت الجالية اليهودية التي كانت تتكون من جنسيات مختلفة · وقد وفد اليهود الى الاسكندرية من قبل مجيء الحملة الفرنسية ومحمد على الى مصر · فقد اجتذبت

الاسكندرية اليها يهود رشيد وادكو فى عام ١٧٠٠ ، حيث استقروا الى الشرق من المدينة • وفى منتصف القرن ١٨ اجتذبت الاسكندرية يهود رشيد ودمياط والقاهرة • وفى عهد محمد على زاد عدد اليهود ، وفى سنة ١٨٥٠ تمكنت الجالية اليهودية من اتمام معبدها بالاسكندرية Eliahou Hannabi • وقد استطاعوا تنظيم أنفسهم بالمساعدات الخيرية الأوروبية ، وأنشأوا مختلف المؤسسات التعليمية والصحية والرياضية والاجتماعية بالمدينة • وعند بداية الحرب العالمية الأولى وفد على الاسكندرية أكثر من عشرة آلاف من يهود فلسطين ، وكان من بينهم نسبة كبيرة من الروس • وقد أسس اليهود فى مصر جريدة « الليبرتيه La Liberté باللغة الفرنسية ، وشعارها حماية مصالح مصر ، وكانت تدافع عن سعد زغلول والوفد • كما اشتغلوا بالحركة الصهيونية والحركة الشيوعية •

وقد عمل الأوروبيون فى الاسكندرية فى الأعمال تقريبا ، ومارسوا كل الحرف • وقد عمل اليونانيون خاصة بالبقالة ، فكان البقال اليونانى هو أول أوروبى يراه الانسان فى الاسكندرية – بل وفى كل مكان فى مصر • كما عمل الايطاليون فى الاسكندرية كصانعى أثاث، وصانعى أقفال ، وفى مجال البناء ، كما عملوا أطباء ومحامين • وقد نافسوا بأيديهم وعقولهم

المصريين ، وكانوا ــ مثل اليونانيين ــ يتكلمون اللغــة العربية كأهلها .

وقد ترك الأوروبيون بصماتهم على مظاهر الحياة في الاسكندرية وفي مبانيها وحدائقهــا وشــواطئها . فالانجليز في ضاحية الرمل بنوا لأنفسهم منازل خاصة Cottages على الطراز الانجليزى ، والايطاليون بنوا منازلهم بشرفات Pergolas على الطراز الفلورنسي ، وشيد اليونانيون المدارس والمعابد على الطراز الأثيني . وانعكس الطابع الأجنبي على الحي التجارى ، مثل شارع شريف ، حيث كانت ترفرف أعلام الدول أيام الآحاد والعطلات على كل باب وشرفة وشارع ، وكانت المحلات متعددة الجنسيات ، فهــذا بقال يوناني أو من نابلى ، وبجواره بائع جبن من الدنمارك ، والآخــر بلغــارى يصنع الزبادى Yoghurt ، وبجــواره تركي يبيــع السجاد ! ويماثل شارع شريف في ذلك تماما شــارعا فؤاد وسعد زغلول . وفى الوقت نفسه كانت شواطىء الاسكندرية ــ وما تزال ــ تحمل أسماء أوروبية ، مثل كامب شيزار ، وسبورتنج ، وستانلى ، وجليمونوبولو ، وزيزينيا وكانت بورصة القطن والأوراق الماليــة فى المدينة تحفــل بالنشــاط المالى الذى كان له أثره على مجتمع الاسكندرية .

وعلى طول فترةالاحتلال البريطاني كانت الاسكندرية قاعدة من قواعد الأسطول البريطاني كلما ظهرت أزمة عالمية تهدد بالحرب ، وقد لعبت دورا هاما في الحرب العالمية الأولى بعد أن اتخذتها انجلترا قاعدة لأسطولها في البحر المتوسط • وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أصبحت الاسكندرية أكبر قواعدالأسطول البريطاني ، ومركزا للعمليات الحربية في الصحراء الغربية ضد الطليان وقوات المحور • واستخدم الحلفاء قطاراتها ، كما صارت طرقها الى مرسى مطروح والقاهرة من أهم الخطوط الحربية بالنسبة لانجلترا •

وكان من الطبيعي أن تدفع الاسكندرية ثمن هذا الدور على يد المحور ، فتعرضت لغارات الألمان رغم اعلان الحكومة المصرية موقف الحياد ، وتعرضت الاسكندرية لكثير من الدمار خلال هذه الغارات ، ثم جاء الخطر الاكبر على يد روميل ، الذى لولا انكسار قواته أمام استحكامات العلمين عند الكيلو ١٢٨ غرب الاسكندرية ــ لدخلت الاسكندرية وألحقت بها من الدمار ما يلحق المدن التي تتعرض للغزو •

الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى :

مر الاستقلال الوطني في مصر بثلاث مراحل : الأولى ، مرحلة الاستقلال الناقص بتصريح ٢٨ فبراير

١٩٢٢ من جانب بريطانيا . وقد أرسى الحكم الدستورى وأقام حكومات دستورية مسئولة أمام البرلمان. ثم مرحلة انهاء الاحتلال البريطاني وتحول جيش الاحتلال الى جيش حليف بمعاهدة ١٩٣٦ . والمرحلة الثالثة هي مرحلة ثورة يوليو ، وفيها وقعت معاهدة الجلاء مع بريطانيا في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ، التى سقطت تلقائيا بالعدوان الثلاثى على مصر فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ .

وفي خلال هذه المراحل الثلاث شهدت الاسكندرية أحداثا وطنية وقومية عظيمة . فقد شهدت انشاء جامعة الدل العربية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ بعد اجتماع وفود الدول العربية بمبنى ادارة جامعة الاسكندرية ، وصدرت الوثيقة الأولى لجامعة الدل العربية في هذا الشأن ، وهى التى عرفت باسم « بروتوكول » الاسكندرية .

كذلك شهدت رحيل الملك فاروق في مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، بمثل ما شهدت دخول أول ملك ، وهو محمد على فى يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٠٧ . فعلى الرغم من أن الملك فاروق كان موجودا بقصر المنتزه ، وكانت الوزارة مجتمعة بمقرها الصيفى في بولكلى عند قيام الثورة ، الا أن الاسكندرية سارعت الى اعلان تأييدها للثورة ، وأعلنت القوات البحرية ولاءها للثورة التى عنيت بتأمين الثغر بجزء من الجيش . وفي يوم السبت

٢٦ يوليو توجه القائد العام للجيش اللواء محمد نجيب يرافقه الرئيس الراحل السادات الى مقر الوزراء الصيفى فى الاسكندرية ، واتفقا مع رئيس الوزراء على ماهر على تسليم الانذار الموجه من قيادة الثورة الى الملك بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد فى اليوم نفسه • وبالفعل تم توقيع وثيقة التنازل التاريخية فى قصر رأس التين ، وغادر الملك فاروق الاسكندرية الى الأبد متوجها الى ايطاليا •

كذلك شهدت الاسكندرية اعلان تأميم شركة قناة السويس البحرية العالمية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، الذى كان المقدمة الطبيعية لمؤامرة العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر من نفس العام • وقد لعبت المدفعية المضادة للطيران فى الاسكندرية دورا هاما فى حماية الأسطول البحرى المصرى فى الاسكندرية من غارات الأعداء •

وفى الوقت الذى كانت الاسكندرية تشهد هذه التطورات السياسية ، كانت تشهد تطورا عمرانيا وحضاريا لم يسبق له مثيل ، وتحتل مركزا لم تحتله طوال تاريخها الطويل • ففى عام ١٩٢٥ أقيمت ضاحية سموحة بعد تجفيف بحيرة الحضرة وتصريف مياهها الى بحيرة مريوط • وفى عام ١٩٣٤ أنشىء أعظم عمل عمرانى بانشاء طريق الكورنيش على امتداد ٢٠

كيلومترا من قصر المنتزه شرقا الى قصر رأس التين غربا •
وفى عام ١٩٣٨ أنشىء فى الاسكندرية فرعان لكليتى
الآداب والحقوق ، ثم أنشىء فى عام ١٩٤١ فرعا لكلية
الهندسة • وكانت هذه الفروع الثلاثة نواة جامعة
الاسكندرية التى صدر قانون بانشائها فى عام ١٩٤٢ •

وبفضل الكورنيش قامت الاسكندرية ببناء أكشاك
الاستحمام والحمامات على امتداد الشاطىء ، كما
استغلت هذا الكورنيش الطويل بأن جعلت منه أجمل
واجهة لمدينة الاسكندرية ، كما أصبحت حركة
الاصطياف من أهم موارد الاسكندرية فى فصل الصيف •
وقد انتشرت على طول الشاطىء الكازينوهات السياحية
ابتداء من شواطىء المنتزه والمعمورة وأبى قير شرقا ،
الى شواطىء العجمى وهانوفيل وسيدى كرير غربا •

وكان قصر المنتزه ، وهو القصر الذى كان مقرا
صيفيا للأسرة المالكة السابقة قد بنى على ربوة عالية
تطل على أجمل شاطىء فى الطرف الشرقى للمدينة ،
وسط حديقة كبيرة فريدة تبلغ مساحتها مع الغابات
المحيطة بها نحو ٣٧٠ فدانا • وقد أصبحت حدائق
وشواطىء المنتزه مفتوحة للشعب بعد قيام الثورة ،
التى حولت مبنى السلاملك الملحق بالقصر فندقا
سياحيا • وفى عام ١٩٦٤ أقيم فندق فلسطين فى
الحديقة • وتم استغلال الشاطىء فى تشييد الكبائن

الجميلة وانشاء المقاصف البحرية • كذلك تم تقسيم أراضي منطقة المعمورة ، وهو الشاطيء الذى كان مخصصا للأسرة المالكة السابقة ، الى مساحات متفاوتة لاقامة الفيلات والعمارات • وتوفرت للمنطقة كافة المرافق والخدمات ، وأصبحت المعمورة بمثابة مدينة عمرانية سياحية كاملة •

وكذلك الحال بالنسبة لمنطقة العجمى فى غرب الاسكندرية ، التي أقيمت فيها ، وفي منطقة هانوفيل ، مدن سياحية تنفرد بطابع معمارى متميز ، وتتوفر فيها الفنادق والفيلات والمحال العامة •

فى وسط المدينة انتشرت الحدائق العامة ، مثل حدائق أنطونيادس ، وحديقة الحيوان ، وحديقة الورد، والحديقة المفتوحة ، فضلا عن حديقة المنتزه ، وحديقة الشلالات ، والمتنزهات الموجودة فى الميادين والطرق العامة ، وتبلغ مساحة هذه الحدائق ٤٥٠ فدانا •

فى نفس الوقت حفلت المدينة بالطرق الكبيرة العامة والميادين الواسعة ، مثل طريق الحرية الذى يمتد من باب شرق حتى منطقة فكتوريا ، وميدان الخرطوم الذى تزينه التماثيل والأعمدة ، وميدان الفريق عبد المنعم رياض الذى تحليه ساعة الزهور والنافورة ، وميدان محطة الرمل الشهير ، وميدان سعد زغلول الذى يتوسطه تمثال الزعيم الكبير ، ومنطقة السلسلة حيث

أقيم تمثال الأشرعة الطائرة الذى نحته الفنان فتحى محمود تعبيرا عن أسطورة قديمة ترمز الى مولد الاسكندرية . كذلك تم شق طريق النصر من الميناء الى وسط المدينة ، وأقيم طريق قناة السويس كمدخل جديد للمدينة .

وقد جرى تعديل وتطوير فى موانى الاسكندرية . فلم يعد الميناء الشرقى الشهير بتكوينه الهلالى ، ووجود جزيرة فاروس على طرفه الغربى والسلسلة على طرفه الشرقى ، يستخدم كميناء للمدينة ، وهو الذى كان فى الماضى ميناء لسفن الغرب التى كان محظورا عليها الرسو فى الميناء الغربى . وقد تجمعت حول هذا الميناء نواد رياضية واجتماعية مختلفة ، مثل : نادى الصيد ، ونادى اليخت ، والنادى اليونانى ، ونادى الكشافة البحرية ، بالاضافة الى معهد الأحياء المائية ، ومعهد علوم البحار . وبذلك تحول هذا الميناء الى منطقة للنزهة والتسلية والرياضة .

أما الميناء الغربى فهو ، الميناء الرئيسى — وفيه ترسو السفن على اختلاف أنواعها ، وله عدة مداخل يقع أهمها ، وهو مدخل الركاب ، عند نهاية شارع النصر الذى يربط الميناء وميدانى التحرير وعرابى فى قلب المدينة . ويبلغ طول هذا الميناء ٤٨٠٠ متر ، وأكبر عرض له ٢٠٠٠ متر ، ومساحته المائية ٧٥٠٠ متر

ويضم محطة ركاب تم بناؤها فى عام ١٩٦٠ ، ومحطة لاسلكى ، وصوامع غلال ، ومراسى للبترول ، و ٨٦ رصيفا مجموع أطوالها ١٠٥٠٠ مترا تستطيع أن تستقبل ٦٥ سفينة فى وقت واحد ٠

وفى نفس الوقت تم تطوير ترسانة الاسكندرية التى بنيت فى عهد محمد على ، حتى أصبحت من أحسن الترسانات الحديثة المتميزة فى بناء واصلاح السفن فى حوض البحر المتوسط ، وقد بلغت مساحتها حوالى ٤٠٠ كيلو مربع ، وطول أرصفتها كيلو مترا ، وتمتلك امكانيات بناء السفن حتى حمولة ٣٠ ألف طن ، وبها أحواض جافة لاستقبال السفن حتى حمولة ١٠٠٠٠ طن بالحوض الجاف الصغير ، وحتى حمولة ٨٥٠٠٠ طن بالحوض الجاف الحديث ٠

كذلك تم انشاء مجمع لحديد التسليح ٠ بالدخيلة ، وقد جرى انشاؤه فى مايو ١٩٨٢ ، ويبلغ انتاج هذا المجمع حوالى ٧٥٠ ألف طن من جديد التسليح ٠ وهذا المجمع الصناعى هو أحد المصانع التى ازدحمت بها الاسكندرية فى مجال الغزل والنسيج والصباغة والورق والطباعة ، والأسمنت وتكرير البترول والسماد والصناعات الغذائية ، ويبلغ عدد العاملين فيها ما بين ١٥٠ و ١٦٠ ألف عامل ، يمثلون حوالى ٢٢ فى المائة من جملة العاملين فى مجال الصناعة على مستوى الجمهورية،

وهى نسبة مرتفعة اذا علم أن تعداد الاسكندرية يمثل ٤ر١٤ فى المائة فقط من تعداد سكان الحضر بالجمهورية • ويسيطر القطاع العام على النشاط الصناعي فى الاسكندرية حيث يضم حوالى ٥ر٩٣ فى المائة من جملة عدد العاملين فى مجال الصناعة بالمصانع التى يزيد عدد عمالها عن ٢٥ عاملا ، كما أن انتاجه يمثل ٤ر٩٦ في المائة من جملة الانتاج الصناعى • وتتجمع الصناعات الكبيرة في مناطق عديدة ، مثل جانبى ترعه المحمودية ، ومنطقة الميناء ، وأبى قير ، والسيوف ، وسموحة ، والدخيلة ، والمكس ، والعامرية • أما الصناعات الصغيرة فمتداخلة فى بعض المناطق السكنية •

وفى خلال ذلك كان قد تم اكتشاف كثير من المعالم الأثرية فى الاسكندرية التى تبرز لمحات من عصور البطالمة والرومان والبيزنطيين والعرب • ففى منطقة كوم الشقافة (قرية راقودة القديمة) يقع عامود السوارى الشهير ، والمقبرة الأثرية التى تم اكتشافها بطريق الصدفة عام ١٨٩٢ • وفى كوم الدكة يقع المسرح الرومانى الذى تم اكتشافه فى عام ١٩٦٤ ، والحمامات الرومانية وبعض مقابر العصر الاسلامى • وفى الأنفاشى (جزيرة فاروس الشهيرة) اكتشفت احدى الجبانات الهامة عام ١٩٠١ ، وهى ترجع فى تاريخها الى العصر البطلمى ، فأصبحت مع قلعة قايتباى الشهيرة معلما شهيرا من معالم الاسكندرية ، بعد أن قامت

مصلحة الآثار المصرية بترميم البنــاء وتقــويته بنفس الأحجار الأصلية بعــد اصــابته بقنــابل الانجليز عام ١٨٨٢ • وقد احتفظت الاسكندرية ببعض صــهاريج المياه التي اعتمدت عليها في العصور القديمة في عملية تخزين المياه ، وأكبرها صهريج الشلالات الذى يطل على شارع الشهيد صلاح مصطفى ، وهو مربع الشكل ومكون من ٣ طوابق • كذلك اكتشفت مقبرة الشاطبى الاثرية ناحية البحر شمال مدرسة سان مارك ، وهى منحــوتة فى الصخر ، وهي من أهم المقــابر التى وجــدت فى الاسكندرية ، وقد عثر فيها على الكثير من آثار العصر البطلمى ، وأهمها تماثيل التناجرا الشهيرة التي تميز المتحف اليوناني الروماني • وفي عام ١٩٥٢ اكتشفت بمنطقة كليوباترا مقبرة يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثــالث الميــلادى ، وهى مقبرة شــــارع تيجران • (بور سعيد الحالى) وتم نقل أجزائهــا الرئيســية الى منطقة كوم الشقافة حيث أعيــد بناؤها • وفى خــلال عامى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ اكتشفت مقابر منطقة مصطفى كامل في الشـــمال الشرقى لثكنــات مصــطفى كامل ، وتتميز عن المقابر في بلاد اليونان بالطراز المعمــارى الفريد والنقــوش البارزة • كذلك اكتشــف فى عام ١٩٣٦ معبد الرأس السوداء ، أو معبد ايزيدور ، فى شرقي المدينة ، وهو على الطراز الرومانى الخاص ، وقد أقامه ايزيدور فى القرن الثانى الميلادى هدية للآلهــة

ايزيس ، بداخله مجموعة كبيرة من الآلهـة الرخاميـة وتمثـل الالهـة ايـزيس ، وأوزوريس كانـوب ، وهرمانوبيس ، وحربوقراط . وقد أنشأت الحكومة المصرية فى عام ١٨٩٥ متحفـا لجمـع كنـوز وتراث الاسكندرية فى العصور اليونانية والرومانية ، وافتتحه الخديوى عباس حلمى يوم ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥ .

والمهم أن الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى شهدت من التطور الحضارى والامتداد العمرانى ما لـم تشهده حتى فى عصر البطالمة . فهى العاصمة الثانيـة للدولة ، وهى مركز للاشعاع الثقـافى ، ففيها عدة متاحف هى المتحف اليونانى الرومانى، والمتحف البحرى، ومتحف الفنون الجميلة ، ومتحف محمود سعيد ، ومتحف التاريخ الطبيعى، ومتحف ومعهد الأحياء المائية . وفيها مكتبة الاسكندرية التى أنشئت عام ١٨٩١، وتحتوى على أكثر من ربع مليون مجلد عربى وأجنبى ، بالاضـافة الى ٤ آلاف مخطوط ، وفيها أيضا أكاديمية الفنـون ، واتيليه الاسكندرية .

كذلك فيهـا الكنائس الهامة ، مثـل الكنيسـة المرقسية ، التى تأسست فى القـرن الأول الميـلادى ، وتحتفظ برأس القديس مرقس ، وقد تجدد بناؤها عبر العصور ، وكان آخرها فى نوفمبر ١٩٥٢ ، بالاضافة الى الكاتدرائية الكاثوليكية ، والـكنائس الانجليزية ،

والروسية، والمارونية واليونانية والأرمنية والانجيلية، واللاتين ، والفرنسسكان ، وسـان مارك ، والآباء اللازاريين • فضلا عن المساجد والمزارات الاسلامية الشهيرة ، التى تطل على الميناء الشرقى ، مثل مسجد أبي العباس المرسى ، ومسجد البوصيرى، ومسجد سيدى ناصر ناصر الدين ، ومسجد سيدى بشر •

وقد اتسعت مساحة الاسكندرية اتساعا هائلا لم يحدث في تاريخها ، فهي تشغل شريطا ساحليا يمتد طوله ٧٠ كيلو مترا فى شمال غرب الدلتا ، ويحده البحر المتوسط شمالا ، وبحيرة مريوط جنوبا حتى الكيلو ٧١ على طريق مصر الاسكندرية الصحراوى ، وخليج أبي قير ومنطقة ادكو شرقا ، وسيدى كرير غربا الى الكيلو ٣٦٫٣ • وتبلغ المساحة الكلية للمحافظة وفقا لاحصاء ١٩٧٦ أكثر من ٢٦٧٩ كيلو مترا مربعا ، يغطى العمران منها منطقة مساحتها حوالى ١٠٠ كيلو متر مربعا ، تضم مدينة الاسكندرية وضواحيها الجديدة ، وهى كنج مريوط ، والعلمين ، وسيدى عبد الرحمن • ويتكون الباقى من ٤٠ فى المائة أرض زراعية ، و ٣٥ أرضا صحراوية ، ٢٥ فى المائة تغطيه مياه بحيرة مريوط •

ويهمنا من هذه المساحة الامتداد المتماسك للاسكندرية القديمة ، الذى يتمثل فى أحيائها السكنية

الجديدة ، وهي أحياء المنتزه ، والرمل ، وسيدى جابر ، وباب شرق ، ومحرم بك ، والعطارين ، والجمرك ، والمنشية ، واللبان ، وميناء الاسكندرية ، وكرموز ، وميناء البصل ، والدخيلة ، والعامرية ٠

وهذه الأحياء كلها تضم ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة (٢ر٧٢٥ر٦٢١) وفقا لاحصاء ١٩٧٦ ٠ وتتنبأ الدراسات الخاصة بتعداد سكان الاسكندرية خلال السنوات القادمة حتى سنة ٢٠٠٠ ، أن يصل هذا التعداد الى حوالى ٤ر٥٦٦ مليون نسمة ٠ واذا نحن قارنا هذا التعداد بتعداد الاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية ، وهو نحو ثمانية آلاف نسمة ، فان هذه المقارنة تبين حجم التطور الهائل الذى طرأ على الاسكندرية عبر العصر الحديث ٠

د ٠ عبد العظيم رمضان

من آهم أعمال المؤلف

١ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ــ ١٩٣٦)
(القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ ــ ١٩٤٨) ــ مجلدان .
(بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ ــ الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ، من ثورة يوليو الى أزمة مارس ١٩٥٤ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ ــ عبد الناصر وأزمة مارس .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ ــ الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ ــ ١٩٣٦)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٧)

٦ ــ صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ ــ ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ ــ الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ ــ ١٣٩
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و
١٩٧٩) .

٨ ــ الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

٩ ــ المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر ا
(١٩٤٩ ــ ١٩٧٩) .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

١٠ ــ الاخوان المسلمون والتنظيم السرى .
(القاهرة : دار روزاليوسف يناير ١٩٨٣

١١ ــ الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الا
الى انتهاء الحروب الصليبية .
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ ــ حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٣ ــ مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر .
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ ــ تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . ١ جزء
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ ـ الغزوة الاستعمارية للعالم العربي ، وحركات المقاومة •
(القاهرة : دار المعارف) •
١٦ ـ مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) •
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) •
١٧ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) •
١٨ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ •
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) •
١٩ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان •
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) •
٢٠ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى •
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨)
٢١ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث •
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩)
٢٢ ـ مصر فى عصر السادات الجزء الثانى •
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) •

٢٣ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠)

٢٤ ـ الاجتياح العراقي للكويت في الميزان التاريخي
(القاهرة ١٩٩٠) .

٢٥ ـ حرب الخليج في محكمة التاريخ .
(القاهرة : الزهراء ـ ١٩٩٠) .

٢٦ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٧٩
(القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢)

٢٨ ـ الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

٢٩ ـ تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

مع آخرين :

١ ـ مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدي والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ ـ تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٨٢) تأليف جون مارلو .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦)

● صدر من هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليـو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمـــان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشـــواطىء المصرية فى العصور الوســطى
عطية عبــد الســميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعــم ماجــد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركــات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمــــد انيس

١٠ ـ توفيق دياب: ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فــوزى

٢٢ ـ نظـرات فى تاريخ مصر
جمـال بدوى

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيق الطـويل

٢٤ ـ الصحـافة الوفـدية
د٠ نجـوى كامل

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى
ترجمة : د٠ عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحـديثة
د٠ سعيد اسماعيل على

٢٧ ـ فتح العرب لمصر ج ١
ترجمـة : محمد فريد ابو حـديد

٢٨ ـ فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمـة : محمد فريد أبو حـديد

٢٩ ـ مصر فى عهـد الاخشـيديين
د٠ سـيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ـ الموظفـون فى مصر
د٠ حلمى أحمد شلبى

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شـكرى القـاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمعى المطيعى

٥٤ ــ الاقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تاليف الدكتور محمد عفيفى

٥٥ ــ الحروب الصليبية جـ ٢
ترجمة وتحقيق د ٠ حسن حبشى

٥٦ ــ المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د ٠ حلمى شلبى

٥٧ ــ مصر الاسلامية واهل الذمة
د ٠ سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ ــ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د ٠ ابراهيم عبد الله المسلمى

٥٩ ــ الراسمالية الصناعية
عبد السلام عبد الحليم على

٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكى

٤٤ ـ الأوقاف والحيـــاة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمـــانى
د· محمــــد عفيفى

٤٥ ـ الحـــروب الصـليبية
تأليف : وليم الصـــورى
ترجمة : أ·د· حسـن حبشى

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د· عبـد الرؤوف أحمد عمرو

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تأليف : أ·د· لطيفة محمد سالم

٤٨ ـ الفـلاح المصرى
تأليف : د· زبيـد عطـا

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : أ · د · عبد العظيم رمضان

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د · سهير اسكندر

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د · عبد العظيم رمضان

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقنـاصل الفرنسـيين فى القرن الثامن عشر
تأليف : د· الهام محمد على ذهنى

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د· محمد كمال الدين عز الدين على

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥١٨ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3313 — 2

الفهـرس